الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر كل ثلاثاء عن جريدة الثورة - العدد 1111 2022/9/13

ملف العدد

المشهد الثقافي السوري
شهادات وآراء ٢-٢

أول الكلام

حبرك الأبيض وفقرك الأسود..

▪ ديب علي حسن

في الملمات والأزمات والحروب التي تعصف بالأوطان لن ينفعك حرفك الأبيض مع فقرك الأسود أبداً..

المطلوب حبر دنس حرام، يؤلب ويحرض ويفتك، ويدلس ويكذب صاحبه..لا يهم إن كان سوف يفتك بأبيه أو أمه وإخوته..ثمة من يشترون في الخارج أو ربما في الداخل..يدفعون بالعملة الصعبة التي تخلب أبصار وعقول الصغار...الدفع جاهز ما دام تحت الطلب يشحذ سيفه ولا يهم من يكون المذبوح..

نعم..يجب أن يكون للثقافة للكتابة للإبداع، مردود.. وحق المبدع أن يحصل على مردود ما..قد لايكون مناسباً أبداً..ولكن من باب (العين بصيرة واليد قصيرة..) هذه مشكلتنا مع الكثير من الأقلام التي نحترم..بعضها كان ومازال نقيا أكثر مما نظن بل ذهب أبعد مما توقعنا في نقائه..

وبعضها الآخر، نسي أنه كان (عندنا لبن وزيت ولحم وغنم وعسل..) وكان لايكنس من..

اليوم يقرش كل حرف (حقه) ولكن ليس هكذا..

قبيل الحرب على سورية كاتب سوري معروف بغض النظر عن شهرته لم أستطع يوماً ما أن اقتنع أنه كاتب ...كان يقبض أعلى استكتاب يمكن الحصول عليه بل تجاوز ما كان يدفع من صحف خليجية..كان مقيماً في الطابق السادس بجريدة الثورة بشكل يومي ..

حين دفع له من دفع أكثر كانت (تكويعته) عفواً بيعه الوطن ..

هل تذكرون حكاية تلك المرأة مدحت أحد الأمراء فقال لحاجبه: اقطع لسانها ..استل الحاجب سيفه وأراد...نظرت إليه غاضبة ...ألم تفهم أن ذلك يعني أجزل لها العطاء...

الإعلام والثقافة لا يحلقان دون إنفاق عليهما والغريب في الأمر أن الجهات المعنية تغدق حيث تريد ولكن حين يصل الأمر إلى الثقافة والإعلام يضرب الشح أطنابه وتبدأ المعزوفة المعروفة.

لا نريد مال قارون ولكن ليكن الحد الأدنى المقبول ..

والأمر الآخر أن البعض ممن يقرشون كل شيء يريدون منك أن تكتب عندهم ولهم دون أن يدفعوا ليرة واحدة ..وآخرون يهللون لما ينشر لهم في الفضاء الأزرق وهو نسخ ولصق..

حبرنا جدير بالتقدير والاحترام، قد لا نستطيع أن نصل الحد الأدنى لكننا لن نقرش حبرنا على مذبح الوطن وإن فعل بعضهم ذلك وزاود علينا ...سنقول: الصيف ضيعت اللبن ...لكنه عائد، ويا خوفنا من أن يكون من قرش وباع هو أول الواصلين إلى اللبن ..عفوا الوالغين فيه ..

الثقافة روح التنمية

الكوارث تلهم إبداعاً

مكتبات تودع روادها

جميل حداد وذاكرة الحنين

مذكرات محفوظ بخط يده

تشكل المذكرات جانباً مهماً من الكتابة التي تضيء على الكثير من الوقائع والأحداث، وبغض النظر عن مدى مصداقيتها لكنها تقدم روايات قد لا نعرفها، وهي تمدنا بشغف الاطلاع على حيوات الآخرين، فكيف إذا المبدع مثل نجيب محفوظ فالحدث الكبير الذي يشغل الأوساط الثقافية هو استعداد.

أم كلثوم نجيب محفوظ، نجلة الأديب الراحل، لإطلاق كتابها الأول بعنوان «أبي نجيب محفوظ»، تحرره الكاتبة الصحفية منة الله الأبيض، ويضم الكتاب مذكرات نجيب محفوظ التي ستنشر لأول مرة بخط يديه، وتدرس أم كلثوم نجيب محفوظ حاليًا عدداً من العقود المقدمة من بعض دور النشر داخل مصر وخارجها، للاستقرار على دار مناسبة لنشر العمل الأول لها عن والدها أديب نوبل.

وقالت نجلة الأديب الراحل «بين سطور كتابي، أحاول أن أقدم شهادة للتاريخ، أرفع الظلم عن نجيب محفوظ الإنسان وأسرته، وإبداعه لا يحتاج إلى محام.. أدفع الظلم عن أسرته التي طالها التشويه من المقربين وغيرهم الذين ادعوا قربهم من والدي وظنوا أنهم يعرفونه أكثر من الأسرة، وبرغم ابتعادنا عن الأضواء والإعلام، وظهورنا النادر جدًا، أجبرتنا الشائعات على الظهور مدافعين عن ذنب لم نقترفه، وتهمة لسنا أبطالها».

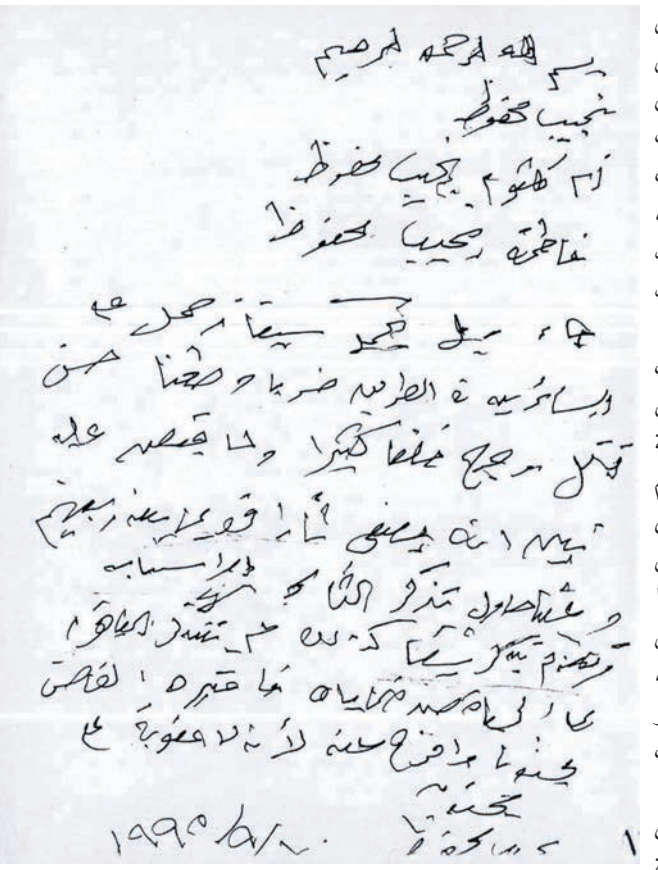

وذكرت نجلة أديب نوبل، «منذ عامين تقريبًا، اتفقت مع منة الله الأبيض، لإعداد مذكراتي عن والدي نجيب محفوظ، ليكون العمل الأول للأسرة التي تتحدث فيه لأول مرة، أروي في الكتاب ذكريات محفوظ الأب، علاقته بأسرته، ودور «أمي عطية الله» العظيم في حياته الذي حاول كثيرون تهميشه، عن قصد أو دون قصد، وبالفعل قمنا بتسجيل أكثر من ١٠ ساعات، من خلال لقاءاتنا الأسبوعية في أحد الفنادق الكبرى، فتحت قلبي وعقلي لكتابي الأول الذي سيكشف الحقيقة الكبرى».

وعن المفاجأة الأدبية التي ستُنشر لأول مرة، قالت «حدثت مفاجأة لم نكن نتوقعها أبدًا، لكنني أؤمن بترتيبات القدر.. أثناء ترتيب غرفة مكتب والدي الخاص، وفرز مقتنياته وكتبه وأوراقه، عثرت على مذكراته الوحيدة التي كتبها بخط يديه مصادفة التي تُنشر حصريًا ولأول مرة في كتابي عن والدي، التي تكشف عن جوانب كثيرة مهمة وخفية في شخصية نجيب محفوظ».

واختتمت كلمتها «أؤمن بأننا راحلون جميعًا وهذه حقيقة لا مفر منها، وسيبقى ما كتبناه، هذه الوثيقة التي بين أيديكم، ما أقوله عن والدي، ومذكراته التي تُنشر لأول مرة وحصريًا في هذا الكتاب الوحيد بخط يديه».

إصدار

قدم الكاتب والباحث حسين راغب خلال ممسيرته الفكرية الكثير من الأعمال الفكرية المهمة التي توجها بكتابه الجديد الذي حمل عنوان (دوحة الفكر السياسي) وهو من الكتب المهمة التي صدرت ونشرت خلال سنوات الحرب الإرهابية على سورية حيث يلقي الباحث حسين راغب من خلاله الضوء على الغزو الثقافي الغربي ضد أمتنا العربية بشكل ممنهج يعتمد على الواقع والعاطفة الوجدانية.

ويتجه المؤلف راغب في كتابه إلى تحريض المثقف لمواجهة المخاطر والتحديات المحدقة بأمتنا والتسلح بالوعي والمرتكزات العلمية والابتعاد عن التسطيح والشعارات والعموميات.

ويلفت عبره إلى خصوصية الأمة العربية التاريخية والثقافية والقومية والحضارية وأهمية تمسكها بثوابتها وضرورة الملتقى العربي لمواجهة الحلف الأميركي الصهيوني الرجعي ودعم مقاومة الشعب الفلسطيني.

الكتاب يتألف من عشرة فصول تبحث في تناول المشروع القومي العربي المعاصر وسبل إعادة إحياء هذا المشروع في مواجهة الفكر الصهيوني ويوضح علاقة الصهيونية بالمصالح الغربية الاستعمارية وأبرز تياراتها ورواد الفكر الصهيوني.

وفي الكتاب يبحث راغب في الثقافة الوطنية ومواجهة التحديات ومظاهر أدوات الغزو الثقافي والتركيز على العولمة الثقافية وسبل مواجهتها مشيراً إلى العلمانية وتطور أنواعها ونماذج الدول بالنسبة لتطبيق هذا المفهوم.

كما يلفت راغب إلى العوامل المسببة للتطرف وسبل مواجهته إضافة إلى مفهوم الليبرالية الجديدة وآثارها الاجتماعية وخطورتها على المجتمع.

يذكر أن الكتاب من منشورات دار الشعب للنشر والتوزيع ويقع في ٢٣٦ صفحة من القطع الكبير ومؤلفه مدير عام دار الشعب لنشر العلوم الإنسانية وعضو مجلس الأمناء في مؤسسة القدس الدولية في سورية وعضو الرابطة السورية للأمم المتحدة وله العديد من المؤلفات التي تقتصر على مواجهة الإرهاب والغزو الثقافي والأدب الإنساني.

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي

بديع صقور
دلال ابراهيم
رنا سلوم
سلام الفاضل
سهيلة اسماعيل
سلمى جميل حداد
شهناز فاكوش
فاتن دعبول
لينا ديوب
مها محفوض
محمد نذير جبر
مريم خير بك

الثقافة روح التنمية ودعامتها

لينا ديوب

ثمة من يقول إن الثقافة لا تقتصر على إنتاج المعرفة (كتب علمية، مسرح، أدب وغيرها)، إنما هي تشمل مجمل علاقات الإنسان بما يحيط به، أي إن المجتمع لا يكتسب شرعيته الحضارية من قدرته على صياغة المعرفة فقط وإنما على تمثلها من قبل أبناء هذا المجتمع في سلوكهم وعلاقاتهم فيما بينهم.

تتأثر ثقافة المجتمع بالمرحلة التاريخية التي يعيشها المجتمع، يخبو الإنتاج الثقافي، تتغير القيم، ينحو سلوك الناس مناحي مختلفة، أو تزدهر وتعطي المزيد من الإنتاج الذي يغني الحياة ويفيد الانسان، عليه يمكننا السؤال هل حياتنا الثقافية اليوم بعد حرب عشر سنوات وحصار اقتصادي، تشبه حياتنا الثقافية ما قبل هذه الحرب؟ والجواب لا، ليس على صعيد إنتاج المعرفة فقط وإنما على صعيد المحافظة على القيم في علاقات الناس، أيضاً الحفاظ على التراث اللامادي الذي دمرت جزءاً منه الحرب وشتت جزءاً آخر، وأياً كانت حياتنا الثقافية قبل الحرب فهي تغيرت ربما نحو التراجع.

إن ذلك التأثير لا يغير جوهر الأمر، بل يدفع إلى العمل الحثيث لإحيائه، أي القدرة على عودة حياتنا الثقافية لصياغة المعرفة وإنتاجها، وبناء مسار منطقي يصل بين الذات والموضوع من جهة، وبين مكونات الوعي ومعطيات الشّعور عند الناس من جهة أخرى، ما يمنح مجتمعنا القدرة على التعبير عن السلوك الإنساني، واستخراج القوانين التي تتحكم بطبيعته اعتماداً على الظواهر الثقافية والتجارب الوجدانية. لكن علينا التفريق بين قواعد المنهج الاجتماعي التي توضح الروابط القائمة بين الظواهر الثقافية وأسبابها، وبين قواعد السلوك الإنساني التي تبين طريقة التفكير في الظواهر الثقافية، وضرورة التّأمل في أسبابها البعيدة أو الباطنية. وهذا التفريق من شأنه تسهيل عملية توظيف الأنساق الثقافية في البناء الاجتماعي، وتحديد أبعاد المكانة الأخلاقية المركزية للفرد في الفلسفة الحياتية، ليس باعتبارها محاولة لمعرفة العالم وتفسير المجتمع فحسب، بل أيضاً باعتبارها آليّة لتفكيك انعكاسات المعرفة من أجل فهمها، وأداةً لإعادة صهر العناصر الإبداعية المشتتة والمنسية في نسيج المجتمع من أجل النهوض به.

إن الحديث عن تدني الذائقة الفنية، وانتشار السلوكيات غير المفيدة للمجتمع، وتراجع القيم، هو حديث عن فجوة بين الوعي والواقع، حيث لا يكفي وعي الواقع إنما يجب تغييره، إذا أصبحت الثقافة مجتمعاً معرفياً ودلالة وجودية، وصار المجتمع نظاماً ثقافياً ودليلاً إبداعياً، فإن الأحداث اليومية ستقود الفرد إلى صناعة المعرفة، وتوظيفها معنوياً ومادياً للتغلب على الحواجز الزمنية والقيود المكانية، وهذا يعني وجود خيارات حياتية متنوعة أمام الفرد، فهل هذه الخيارات أمامنا نحن اليوم؟ أم نحن ننحصر في زاوية ضيقة، وطريق متعثر وطويل؟

إن الفرد الحر هو الوجود الحي الذي نجح في الانعتاق من أَسر اللحظة الآنية، والإفلات من الضغوط المؤثرة على الفعل الاجتماعي، في التنمية عموماً يقال: التنمية حرية، فهل نحن قادرون على الوجود الحي في ظل ما نحياه من حرب يومية مع اللحظة للبقاء على قيد الحياة وتأمين أبسط مقومات الحياة؟ هل نحن أحرار بالوقوف مع أنفسنا بعيداً عن ضغوطنا اليومية؟

بالعودة إلى الرابطة المصيرية بين البنية الاجتماعية والبنية الثقافية لا يمكن أن تظل متماسكة وفعالة إلا إذا نجح الفرد كما قلنا في ردم الفجوة المعرفية بين الواقع والوعي، ولا يكفي أن يكون هناك وعي بالواقع، لأن العبرة تتجلى بوجود وعي بأهمية تغيير الواقع. وهذه مسؤولية الأفراد والدولة، والدولة بالدرجة الأولى وتقتضي إرادة سياسية واعية للمعرفة باعتبارها نظاماً وجودياً شرعياً، وليس ترفاً فكرياً زائداً عن الحاجة، سياسة تتطلب ميزانية وبرامج أبعد من الأنشطة المتفرقة، وأعمق من الإنتاج الحالي، تلتفت للحياة الاقتصادية للناس عموماً وليس للعاملين في حقول الإنتاج المعرفي، تحتفي بالمبدع الحقيقي والمنتج الحقيقي، تعمل بإلحاح على احياء التراث اللامادي.

لأن الفرد إذا كان لا يستطيع تغيير الوقائع التاريخية والأحداث اليومية، فإنّه يستطيع الاستفادة منها في صناعة نظام عقلاني يوازن بين مسار الفرد في الحياة، ومصير المجتمع في التاريخ. وأهمية النظام العقلاني في المجتمع والتاريخ تتضح في عملية بناء الإرادة الحرة على قاعدة المسؤولية الأخلاقية. وغياب الإرادة يعني انهيار كينونة الفرد، وغياب الحرية يعني انهيار كيان المجتمع، وغياب الأخلاق يعني انهيار ماهية الحضارة. وهذه الانهيارات عندما تتوالى وخاصة في الظروف الخاصة كظروف ما بعد الحروب، تمنع الفرد من اكتساب المعرفة، وتمنع المجتمع من حرية التعبير، وتمنع الحضارة من تجديد ذاتها. هنا حتى اللغة تفقد قدرتها على صناعة بنية تواصلية فعّالة، فتموت الأفكار في مهدها، ولا تنتشر المعرفة داخل النسيج الاجتماعي.

ومن أجل حماية شرعية الوجود الإنساني من هذه الانهيارات، لا بد من تطوير المعرفة بحيث تحقق المصلحة الشخصية والمنفعة العامة، وهذا كما قلنا يقع على عاتق الدولة بدعم المؤسسة الثقافية والإنتاج المعرفي وتهيئة بيئة داعمة للفرد ليكون حيوياً نحو الثقافة وله دور في إحيائها.

إن العلاقة الجدلية بين الثقافة وبناء المجتمع، تفرض على الجميع تصميم ورشة عمل مستمرة، لإعادة فاعلية الفرد، ليكون له دوره في تغيير ما هو قائم اليوم، ليتحقق الأثر والتأثير للنهوض بالثقافة واحياء المجتمع.

مسؤولية مجتمعية

سلام الفاضل

لم تكن الثقافة في يوم من الأيام حاجة كمالية تهفو النفوس إليها في أيام اليسر والوفرة، ولكنها طالما كانت حاجة أساسية ومطلباً حياتياً ضرورياً في شتى الأيام، وعلى اختلاف تقلبات صنوف الدهر.. ومن يطالع المشهد الثقافي اليوم لا بد له أن يرى ما يتعاور هذا المشهد من صعود تسعى خلاله المؤسسات الثقافية إلى تعميم الفكر الثقافي، وتمكين الثقافة، والتأكيد على دورها وحضورها كحاجة بشرية عليا؛ وهبوط قد ينشأ أحياناً عن أسباب خارجة عن الإرادة مثل العقوبات الجائرة أحادية الجانب التي فُرضت على الشعب السوري بشتى أطيافه، وانتشار الجائحات المرضية كوباء (الكورونا) الذي أثّر على الحراك الثقافي فترة من الزمن وأسهم في تأجيل إقامة عدد من المعارض المحلية والدولية، وانتشار الثقافات الاستهلاكية، والفكر اللحظي العابر... وسوى ذلك.. ولكن، وعلى الرغم من هذا، فإن الثقافة ما تزال حتى اليوم الزاد المعرفي الذي تتأسس عبره رؤى الأجيال، وتتبلور من خلاله تطلعاتهم نحو مستقبل أكثر ازدهاراً؛ فالكتب بشقيها الإلكتروني والورقي ما تزال حاضرة، وخير مثال ما يُلحظ في معارض الكتب من إقبال على شرائها، ولا سيما من قبل ذوي الأطفال الذين ما زالوا يحرصون حتى اليوم أن تكون القراءة رديفاً مهماً في بناء فكر أطفالهم، أو من خلال معارض الفن التشكيلي والحفلات الموسيقية والأمسيات الطربية والأدبية والفنية التي تزدان بها المؤسسات الثقافية يومياً، وتشع لياليها بحضور جماهيري كثيف، أو من خلال إحياء معالم التراث اللامادي والتأكيد على أهميته في المحافل المحلية والعربية والدولية.

إذاً وإن جوبه المشهد الثقافي ببعض العراقيل والعقبات إلا أن حضوره ما يزال قائماً وفاعلاً ومتمماً لمفاصل حياتية أخرى، وللتوسع أكثر في هذا الأمر، والوقوف على حال المشهد الثقافي السوري، ما له، وما عليه؛ تحرّينا رأي الأديب والمترجم الأستاذ حسام الدين خضور الذي رأى بداية: «إن من الطبيعي أن يعاني بلد يواجه حرباً إرهابية دولية، واحتلالاً لأراضيه الأغنى بالموارد الطبيعية ـ النفط والغاز والمحاصيل الزراعية - وعقوبات تطال كل شيء، أن يعاني من صعوبات في المجالات جميعها...». وأوضح أن ذلك انعكس على المشهد الثقافي في عدد من الأمور، منها: «غياب مهرجان المحبة في اللاذقية لضعف الإمكانات المالية، وغياب مهرجان الثقافة في الرقة بسبب العدوان الإرهابي الأميركي، وغياب مهرجان دمشق السينمائي السوري، وتوقف إصدار جريدة سيريان تايمز. الجريدة الوحيدة التي تصدر باللغة الإنكليزية في سورية، إضافة إلى تآكل قيم الجوائز الأدبية ثمانين مرة...». وتابع مشيراً إلى إحدى الآفات التي بات المجتمع السوري اليوم يعاني منها على الصعيد الثقافي، وهي تعملق الثقافة الاستهلاكية، إذ قال: «وقد تعملقت الثقافة الاستهلاكية إلى درجة دعت نقابة الفنانين إلى منع إقامة حفلات لمغنين بسبب كلمات أغانيهم التي تخدش الحياء العام! ودعت شاعراً كنزيه أبو عفش إلى توجيه رسالة مفتوحة إلى مدير ناحية الناصرة في منطقة مرمريتا جاء فيها: (السيد مدير ناحية الناصرة/ وادي النضارة أخاطبك الآن من مرمريتا/ مرمريتا الحضارة والثقافة كما يروق للبعض وصفها، والساعة تجاوزت الرابعةَ فجراً، وعويل كدتُ أقول عواء الموسيقا الهمجية والأغاني المبتذلة لا يزال يُلعلِع من حولنا قادماً من منتجع «قمر الوادي» الذي أقترح تسميته «قمر جهنم» بأقصى طاقة أجهزته الصوتية من الوحشية، وانعدام الحياء، والذوق...)».

إلا أن هذا كله لم يمنع خضور من التأكيد على أن المؤسسات الثقافية ما زالت تقوم بدورها في ظل الإمكانات والموارد المتاحة والمتوافرة لها لتمكين الثقافة وترسيخ دورها وحضورها، حيث أشار في هذا الصدد إلى: «إنشاء المعهد العالي للسينما في دمشق، وإصدار وزارة الثقافة مجلة شامة، واتحاد الكتّاب العرب مجلة شام الطفولة، واستئناف إصدار مجلة جسور ثقافية، وإطلاق الهيئة العامة السورية للكتاب المشروع الوطني للترجمة، الذي يُنفّذ بخطط سنوية، وترخيص وزارة الثقافة ملتقيات ثقافية أهلية في المحافظات كافة لتنشيط الحراك الثقافي، إضافة إلى انتشار الكتب والمجلات الإلكترونية التي باتت حقيقة واقعية فرضتها عوامل قاهرة، إذ عوّض النشر الإلكتروني كثيراً من الفراغ الذي خلقته ظروف الحرب الدولية الإرهابية على بلدنا...».

ليختتم خضور كلامه بتبيان أن: «الثقافة في أي بلد هي مسؤولية مجتمعية شاملة لا تقتصر على المؤسسات الثقافية؛ فالإعلام والتربية، والنقابات والأحزاب كلها معنية بتنشيط العمل الثقافي، وتطويره ليعكس الجميل والسامي في حياتنا العامة، ويخلص المشهد الثقافي من النزعة الاستهلاكية التي تكاد تطغى على الصورة الحقيقية لثقافة بلدنا بسبب صخبها وصعوبات الحياة التي تدفع الفرد إلى العيش في فرح اللحظة العابرة».

نحتاج دعماً مالياً ومؤسساتياً

فاتن أحمد دعبول

راتب سكر

محمد سامر اسماعيل

كثيراً ما يتردد مصطلح المشهد الثقافي في أوساط الكتاب والفنانين، فمنهم من يجده متنفساً لإشهار بضاعته ولا يهم إن كانت على سوية تليق بما يطلق عليه» ثقافة وإبداع» والبعض ينتقد المشهد الثقافي لافتقاره إلى مقومات المشهد الحقيقي الذي يتمتع به، من مثل استقطابه للمبدعين الحقيقيين الذين يثرون الواقع الثقافي ويشكلون قيمة مضافة فيه.

وفي الآن نفسه يتوقف فريق ثالث ويقول المهم أن هناك من يصنع حراكاً ثقافياً في ظل هذه الظروف الصعبة التي يعاني منها المواطن السوري، والذي يعد الثقافة ضرباً من الرفاهية.

ورغم تضارب الآراء، تبقى الثقافة هي الحاجة العليا للبشرية، ومن خلالها ينهض المجتمع بفكره ويتطور بفنه وينتعش بمبدعيه.

حول واقع المشهد الثقافي السوري كان هذا الحوار:

د. راتب سكر: دعم إبداعات الشباب

يرى د. راتب سكر أن المسارات الثقافية شهدت في السنوات الماضية الأخيرة تنامي الاهتمام بأندية الشباب الأدبية، تنامياً رفد الكتابة وفنونها بأسماء جديدة كثيرة ومتنوعة، ما أقلق بعض المهتمين ودارسي الأدب خوفاً من تراكم أدب سطحي يفتقد مكوناته الإبداعية الضرورية.

إن مثل هذا الخوف المشروع، لا يجعل المتابعين الجادين في موقع من يرى الإلغاء والإقصاء حلاً لمثل هذه المسألة، فمسارات الآداب في تاريخها الطويل عربياً وعالمياً عرفت مثل هذه الظواهر، ولم تدق طبول الذعر منها، بل هي واثقة من مشاريعها الجوهرية.

فالاهتمام بروافد أندية الشباب الأدبية، ترافق باهتمام واسع وعميق بتجارب سابقيهم، وكان لجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية ولرسائل الماجستير والدكتوراه الجامعية، إسهام مهم في هذا المضمار، غير أن هذا الإسهام يحتاج بلا شك إلى دراسات نقدية منظمة في أطر لائقة، في المؤسسات المعنية، مع الاعتراف بأن ثمة ندوات مهمة نفذت من أجل الإضاءة على الكثير من النتاجات الأدبية والقضايا الثقافية.

والأمثلة كثيرة عن هذه الندوات ومنها» ندوة تكريم الأديب حنا عبود» في حمص، ومن الراجح أن روح التعاون والتسامح والألفة بين حملة القلم ستعزز تعميم مثل هذه الندوات وتحويلها إلى كتب يتم تداولها والاستفادة من خبرات أصحابها.

سامر إسماعيل: نحتاج إعادة بناء ثقة

ولدى التوجه بالسؤال للمسرحي والإعلامي الناقد سامر اسماعيل، أجاب:

أعتقد أن المشهد الثقافي السوري ضمر كثيراً وانكمش، رغم كل المحاولات والمبادرات التي أطلقت مع بداية الحرب، فقد كانت هناك مبادرات على صعيد الجمعيات الثقافية والأهلية، وكان هناك أيضاً صالات فن تشكيلي افتتحت خلال الأزمة، لكن كل هذا لم يدفع لتحسين واقع المثقف والفنان السوري.

فمن اشتغل في المسرح مثلاً، كان لديهم رغبة في أن يقولوا شيئاً، وأن يبدوا مواقف إزاء ما يحدث، ولكن هؤلاء أعتقد أن معظمهم اليوم يشعر بخيبة أمل كبيرة، لأنه لم يتلق الدعم المناسب ليكمل ما كان قد بدأه مع هذه الحرب الملعونة.

وفي السينما أعتقد ظلت المؤسسة العامة للسينما هي الجهة الوحيدة في البلاد التي تختص بإنتاج الأفلام، وهي أيضاً للأسف ظلت الجهة اليتيمة في سورية، ويجب أن نقول أن هناك رؤوس أموال موجودة، لكنها لا تساهم في دعم القطاع الثقافي والفني في سورية، إلا ما يتصل بالمناسبات والتشريفات، وما يتصل أيضاً بتلميع صورة أصحاب رؤوس الأموال، وغالباً ما تذهب هذه الأموال لإقامة حفلات للفن الهابط والفن الشعبوي، لذلك فإننا نقول أن المثقف في الداخل السوري، ما يزال يحارب طواحين الهواء وحيداً حيث يتلقى دعماً رمزياً للغاية قد لا يذكر من وزارة الثقافة، وهذا ما جعل الكثير من المثقفين والفنانين، سواء من المسرحيين أو السينمائيين، أو الكتّاب، جعلهم ينكفئون على المشهد أو يختارون الهجرة.

والحقيقة نحن في وضع لا نحسد عليه، نحتاج فعلاً إلى مبادرات تأخذ بيد من تبقى، أو سيكون الوضع كارثياً، من يعضون اليوم على الجراح، ويتعالون على الجرح الشخصي وصلوا إلى نقطة صعبة جداً.

ومن خلال متابعاتي أعتقد أن الأمور اليوم صعبة للغاية، وخاصة على المثقف والفنان السوري، فالفنان التشكيلي يطمح دائماً إلى أن يبيع للخارج، وما تقدمه مديرية الفنون وما يقدمه اتحاد الفنانين التشكيليين أيضاً لا يذكر لدعم النحاتين والمصورين والرسامين في سورية، واقتناء اللوحات يتم بمبالغ زهيدة للغاية من الفنانين سواء في معرض الربيع أو معرض الخريف السنوي، وفي أي نشاط أو فعالية تقيمها مديرية الفنون التشكيلية.

الأوضاع صعبة للغاية، أعتقد أننا بحاجة إلى إجراءات بناء ثقة من جديد مع من تبقى من المثقفين والفنانين السوريين الذين ما يزالون يأملون أن يحدث تغيير يساعدهم على البقاء والاستمرار.

نور الدين الموعد: نحتاج عملاً مؤسساتياً

ويرى نور الدين الموعد أمين سر جمعية القصة والرواية لدى الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين أن « الثقافة حاجة عليا» ولا يمكن وبضغط من أزمات ان تطلب من المرء أن يجعل أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه، أو أن يسوغ ذلك بأي شكل.

في سورية كثير من المثقفين، وفي الإدارات الثقافية من باتوا يقدرون ذلك ويعملون من أجله بتميز واقتدار، لأنهم وبلادهم قد عانوا ظروفاً صعبة، وكلما كان الألم كبيراً، كان الإبداع يواكب هذه الظروف بالفنون كافة.

وجدير أن نقف عند تجربة اتحاد الكتاب العرب في تجربته الجديدة، فقد نجح في تقريب الكتاب من إدارته وساهم في جذب الشباب ورعايتهم، وذلك بعد متابعة ناجحة في فرع دمشق لاتحاد الكتاب العرب، وتستمر الفعاليات التي تواكب الوقائع والأزمات، بالإضافة إلى تدعيم الأواصر بين الكتاب بتشابهاتهم واختلافاتهم وتكريم الكبار، وتشجيع ودعم المستجدين، وغير ذلك كثير من أعمال ما انفك يقوم بها اتحاد الكتاب.

وفيما يخص دور المراكز الثقافية التي قامت بدور فاعل في استقطاب الكثير من الفعاليات وخصوصاً فئة الشباب والأطفال، واكتشاف الكثير من المواهب والنتاجات الأدبية والفنية المميزة.

ولا يمكن تجاهل ما يقوم به اتحاد الكتاب الفلسطيني في دمشق وخصوصاً لقاء الثلاثاء الأسبوعي، الذي نجتهد لتقديم الأفضل رغم الصعوبات والتحديات التي تواجهنا ونسعى لإضافة مشاريع جديدة كمشروع» الورشة القصصية الموسعة» الذي ننفذه حالياً.

هنالك الكثير من الإيجابيات يمكن تحقيقها مع التركيز على العمل المؤسساتي للإدارات الثقافية، ويجب ألا نهمل الدور الشخصي للبعض المبدع فيه، وهم قادته الحقيقيون، بلا أدنى شك.

ومن تجربتي ومتابعتي للعمل التعليمي كان التعاون وخصوصاً في الفترات الأخيرة بين المدرسة والمؤسسات الثقافية له أثر كبير، وخصوصاً زيارة رؤساء تحرير مجلتي الأطفال أسامة وشامة للمدارس ولقائهم بالأطفال والمعلمين.

ويصل الموعد إلى خلاصة مفادها: إن أشد ما نحتاجه هو دور ثقافي متسع يمتد إلى المدارس، لتشجيع التلاميذ على القراءة، ونضع بين أيديهم القصص والمجلات ليصبحوا قراء فاعلين.

إن اتخاذ الأساليب الحديثة في التعليم والثقافة له دور مهم شرط أن تقوم بشكل مؤسساتي، بعيداً عن الارتجال، وبذلك نستطيع أن نصون مجتمعنا ثقافياً وفكرياً وتعليمياً.

عبثيّة المشهدُ عائقاً لدوره التنويريّ

رنا بدري سلوم

أُصاب بذهول حين تصلني دعوة من «وزارة الثقافة» لحضور أمسية قصصية لقاص لم يثبت نفسه بعد ليتم الاحتفاء به على أنه «أديب»، ليغدو بعد الأمسية مادة دسمة تلوكها ألسنة الحضور من نقاد وإعلاميين ومتابعين للشأن الثقافي، فلماذا العفويّة في تقديم هذه الطروحات التي يجب أن يقدّم لها نقدٌ بناء لترتقي؟ وماهية فوضى الملتقيات التي تقيمها المراكز الثقافية والمنابر الإبداعية التي تحتفي بنفسها فتسوّق على أنها من جهة «مسؤولة» لتقدم نتاجها مواهب لم يسمع بها، ومشاريع كتّاب هدفهم الوصول والحصول على شهادات فخريّة؟ إذا أين نحن اليوم من هذا المشهد الثقافي الملوّث والذي يعيش فوضى عارمة في التقييم والأداء؟ وماذا عن عالمنا الأزرق الذي صنع في يوم وليلة شاعرة وأديباً ؟.

تلوثٌ ثقافي

يجد عضو اتحاد الكتاب العرب الناقد الدكتور عبدالله الشاهر أن السلوكيات الثقافية تتحرك بنتاجات فكريّة متضاربة ومتعارضة من الناحية الفكريّة ومتداخلة في وسطها الثقافي بين الجيد والرديء وهذا أمر طبيعيّ تقع فيه الثقافات التي تعيش حالة من التوهان بين الماضي والحاضر، وفي هذا الجانب فإن المؤسسات الثقافية في سورية استطاعت أن تهيء صروحاً من الأبنية الثقافية، لكنّها لم تحسن الأداء الثقافي فبقيت دور الثقافة تقتصر على نشاطات خجولة في الأداء وفي الحضور وهنا يفترض إعادة النظر في كيفية تفعيل هذه المراكز الثقافية، يوافقه الرأي الشاعر عباس حيروقة الذي يجد أن التشوهات الحاصلة في المشهد الثقافي بدأ منذ عقود طويلة كإقصاء المثقف الحقيقي على حساب التطبيل والتزمير لتجارب هشّة هلامية فمن الطبيعي أن يصل المشهد الثقافي إلى ما هو الآن، ويذكر حيروقة على سبيل الذكر وليس الحصر سبب من أسباب هذه التشوهات أهمها وضع الإنسان المناسب بالمكان المناسب من القائمين على المنابر الثقافية، التي هي في حد كبير يديرونها وبرأيه الجهلة الذين لا يميزون بين المبدع والمدّعي، فيصفقون له في النهاية، لأنهم لا يملكون التمييز بين الغث والثمين، فيكون التقييم النهائي منوطاً بوعيهم الجمالي والإبداعي، يصفقون للشكل لا للمضمون والجوهر.

المثقف ابن بيئته

هناك ثقافتان متصاعدتان في الساحة الثقافية السورية وفقاً للدكتور عبدالله ،الأولى الثقافة الماضوية والثانية الثقافة العصرية الواقعية، ولا نلمح أثراً يذكر لثقافة المستقبل أو النظرة إليه وهذا مؤشر خطر في حياتنا الثقافية بعامة، الأمر الآخر في المشهد الثقافي السوري مازلنا لم نسال أنفسنا وإلى يومنا هذا من نحن وماذا نريد، هل نريد ثقافة وطنيّة أم ثقافة قوميّة أم اسلاموية، وهذه إشكالية في العقل الثقافي العربي عامة، كذلك في المشهد الثقافي العربي يجب فهم وضبط المصطلحات وتباين العلاقة بين العرب والعروبة والإسلام حتى نقع على أرضية واضحة الملامح، شديدة الصلابة قادرة على تحقيق الانطلاقة الواعدة.

فالمشهد الثقافي لا يختلف عن المشهد الاقتصادي والسياسي والاجتماعي لأنها منظومة متكاملة، فلا يمكن فصل المثقف عن مجتمعه وواقعه، برأي عضو اتحاد الكتاب العرب الشاعر عبّاس حيروقة فهناك تخبط في المشهد الثقافي حدّ العجز إلا إذا استثنينا حالات نادرة من شأنها النهوض بالثقافة، إنها مفرزات الحرب فكما أفرزت طبقة طفيلية سياسية مجتمعية عملت على بناء حالة مادية غير مشروع لها، وبناء أبراج على حساب البسطاء والشهداء كذلك، طفت طبقة طفيلية ثقافية حاولت بناء أمجاد لها ونلاحظ أنها لا تستطيع أن تقاوم هبوب الريح أوأشعة الشمس.

ملتقيات عفويّة الأداء

في الجانب الآخر بروز ظاهرة الملتقيات الثقافية التي وبرأي الدكتور الناقد عبدالله الشاهر أخذت تتسع وإن هذه الملتقيات قد غطّت جانباً وإن هناك تحفظاً على النتاجات لكن هذه الملتقيات كان يفترض أن توضع تحت رعاية كي لا تقع في عفوية الأداء واللافت للنظر أن هذه الملتقيات أصبحت تصدر وثائق مثل شهادة تقدير أو شهادة تميز أو إبداع لحالات ثقافية لا ترقى إلى مستوى المنح وهذا يؤدي إلى شيء من التشويه، فبعض الذين منحوا مثل هذه الشهادات قد لا يمتلكون مؤهلات القصيدة أو القصة أو الخ والأكثر فداحة منح دكتوراه شرف دكتوراه تقديرية وهذا تسفيه لمقام هذه الشهادة وللعلم أن الدكتوراه الفخرية لا تمنح إلا بشروط وهذه الشروط فيها من القساوة أكثر مما يتصوره المانحون، مطالباً الدكتور عبدالله الشاهر أن يتم حصر هذه العطايا بحالات تستحق وأن توضع معايير لذلك لا أن تأتي نتيجة رغبة أو علاقة أو استحسان،

في وقت تطرّق الشاعر عباس حيروقة إلى هذه الملتقيات بتقرير عنوانه :» الملتقيات الأدبية بين التردي والارتقاء» تحدث فيه بدءاً من دور الملتقيات النهضوية الثقافية المجتمعية في مطلع العشرينات، وصولاً إلى رموز الفكر في دمشق وحلب والنهوض بالوعي المجتمعي، مشيراً إلى تجارب الملتقيات الثقافية المهمة في سورية « شام وقلم والثلاثاء الثقافي « التي عززت الثقافة المسؤولة، أما ملتقيات مفرزات الأزمة ينظر إلى نتاجهم كخواء، رغم التغير الكبير في الذائقة المجتمعية المشوهة التي باتت على حساب النتاج الأدبي الثقافي الأصيل بحسب حيروقة.

شهادات فخريّة

الصفات والألقاب والشهادات الفخريّة الالكترونيّة التي يمنحونها الأدعياء للأدعياء من ذات المقام هي المتفشية والمتغلغلة في المشهد الثقافي، وإن ما نراه خواء داخلياً وعقداً نفسيّة اجتماعيّة وتخبّطاً كبيراً يتصدّر المشهد الثقافي وفقاً للزميل عباس حيروقة، الذي يوضح أن الملتقيات الأدبية تجوب المراكز الثقافية، والملتقيات الافتراضية والفيسبوكية والواقعية تجوب المراكز أيضاً، وذلك لهشاشة في القائمين على المنابر الثقافية الذين لا يقيّمون التجارب يعملون على تقديمهم لألقاب يختارونها، وبرأيه الشاعر الحقيقي لا يحتاج لألقاب أكاديمية عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي التي «أصبحت وكما يراها الدكتور عبدالله منصّة لكل من لديه رغبة في الكتابة دون مراعاة للموهبة أو اللغة أو حتى الشكل الأدبي وهذا الأمر يوهم الآخر بأنه أصبح أديباً مهماً، مؤكداً بأنه شخصياً يعتبر أن ما ينشر على وسائل التواصل الاجتماعي غالبيته لا ينتمي إلى الأجناس الأدبية وهو شكل استعراضي بقصد الذيوع».

مطالبات لابدّ منها

إن المشهد الثقافي في سورية يحتاج إلى نظرة فاحصة ولدينا في ذلك فعاليات ثقافية واعية رغم ضبابية المشهد وطموحنا أن تتضح الصورة من خلال رؤية مؤسساتية قادرة على وضع أسس تقودنا إلى ثقافة مسؤولة وفقاً لما طالب به الناقد الدكتور عبدالله الشاهر، مضيفاً هناك الكثير من الصعوبات التي تواجه المشهد الثقافي وأنا ذكرت البعض منها ولدينا الكثير في سورية من الأصوات التي تحمل الغيرية على الثقافة، يوافقه الرأي الشاعر عباس حيروقة ويؤكد دور وزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب في تطهير وتجذيب المشهد الثقافي من خلال وضع معايير صارمة، لأن الإبداع الحقيقي هو المعيار الأهم لوصل المبدع إلى المكان الذي يليق بإبداعه .

وتر الكلام

عواطف ممنوعة...!

سعاد زاهر

خرجت من الزوايا المنسية
تعاند الدروب المهملة
تشعل آلاف الشموع
تدخل المعابد ...حتى البعيدة
تخترق الصمت
وبعدها ...
تتراقص الأيام
تسافر بلدان
كأنها مغنية تدندن الألحان
ورسامة تنحت حتى الأنفاس
معه..تتجدد الألوان
يتصاعد الإحساس
بلا ارتواء
يبلل أطراف السماء
اسمه حين يضئ شاشتها
تشتعل أجنحة الحب البيضاء
تختلط الأعمار
وتبعد هواجسها المجنونة
ورغبتها في إنقاص الأيام
قربه...
ألف صدى يعيد ألق الحياة
تتلاشى عواطفها المقموعة
حين يشرب عصائره الغريبة مع الرقائق الصماء
تشتاق إليه
وتسارع اليمامات تغلق معها حقائب السفر
وتتطلق صوبه
عساها تلتقط ارتعاشات عواطف
حان أوان قطافها
قرب البحر حيث التقاها للمرة الأولى
العصائر الملونة تمسكها الأيدي
جلسا على الحيز الضيق
حين كادا أن يلتصقا
كعادتها ...
في معاندة اللحظة
ومكابرتها الزائفة
هربت الى أبعد مكان
بعد حين..
كما في كل أوان
تهرع إليه الشوق يلفها
تنغلق على صوته الخافت
وهمسه الصاخب
وصلابته اليائسة
وارتعاشاته المطمئنة
تود لو تختفي
صورته ذات الملابس السوداء أو الكحلية
وتبعد تلك الأدوات الحديدية
وترمي عن رقبته تلك القلادة الفضية
تحتار
حتى من ضوء أخضر خلف ظهره
يستوطنها العشق
وتكتشف أنها في حيرة
وأن أمورها منتهية
وفي أية لحظة قد تسير
نازحة إليه
هاربة منه
متعلقة به
كما لم تفعل يوماً
تشبه اهتزاز شمعة حاولت استقراء نكهة أخرى
فإذ بها تحرق كل قوانينها الممنوعة...!

مكتبات دمشق تودّع روادها

دلال ابراهيم

من المؤسف والمحزن أننا أصبحنا شهود على ما يصيب المكتبات. قصة موت معلن هو العنوان الأنسب الذي يمكننا استعارته من إحدى روايات الكاتب غابرييل غارسيا ماركيز لنطلقه على سلسلة المكتبات التي تعلن استسلامها أمام الزحف الاستهلاكي في مدينة كانت قبلة للمثقفين ولحركة صناعة الكتاب ككل ولا نستثني من تلك الحالة أي مدينة سورية. هي المأساة التي تركت ندوبها على جميع مرافق الحياة العامة للمدن السورية الكبرى.

فهل تَصدِق نبوءة الكاتب امبرتو إيكو وتتحول المكتبات الخاصة والعامة إلى مجرد متاحف للكتب تثير الغرابة لدى الأجيال المقبلة التي سرقتها ثورة التواصل الالكتروني، ولم يعد لها صلة بالكتاب الورقي الحميم؟ «لقد أجهز إعلان مكتبة نوبل الشهيرة الواقعة في قلب مدينة دمشق على آمال العديد من القراء، الذين يعتبرون هذه المكتبة من أبرز معالم الحياة الثقافية السورية. آخر مكتبة حتى الآن تعلن عن إغلاق، منهية بتلك الخطوة قرابة خمسة عقود من علاقة تاريخية بين جمهور القراء والكتّاب.

أدت المكتبة فيما مضى وسيطها التقليدي، ولكن لا أحد يستطيع أن يتكهن إذا كان إغلاق مكتبة نوبل هو الأخير، حيث سبقها بتلك الخطوة اختفاء العديد من المكتبات من معظم الحياة الثقافية للبلاد منذ عشر سنوات. لتتقدم محال تجارية وتحتل مواقع هذه المكتبات ومبانيها، وتحويلها بين يوم وضحاها إلى مقرات لشركات صرافة، أو مقاه لتدخين النراجيل، وفي أحسن الأحوال إلى محال لبيع الحلويات والأحذية والسوبر ماركات. ونذكر منها إغلاق مكتبة ميسلون القريبة منها، في شارع أخذت المكتبة منه اسمها، شارع طالما شهد صخبنا أيام مهرجانات السينما ، حين كان يضج بالحياة التي نحبها. كانت الكتب غالية بالنسبة لنا، لكن بحثنا عن كتاب ممنوع كان يعني زيارة «المكتبة العمومية»القريبة منهم أيضاً، وبحثنا عن شريط كاسيت نادر كان معناه أن نطرق باب «ميسلون» بحيث شكلت تلك المكتبات جزءاً من ذاكرتنا الجمعية . وحتى بوسعنا القول إنها مكتبات شكلت جزءاً من ذاكرة دمشق وهويتها الثقافية والاجتماعية. وكان لا يمكن لأحد من المهتمين بعالم الكتب أن يمر من ذلك الشارع بين المحافظة وفندق الشام إلا أن تستوقفه واجهة تلك المكتبات ولو كان في عجلة من أمره لإلقاء نظرة سريعة على العناوين، لربما كان معروض كتاب لم يسمع به سابقاً.وبغيابهم تغيرت ملامح هذا الشارع. وللحقيقة أنه ومنذ قرابة عقد تتغير دمشق.

إذ كان يكفي المشي من أمامهم حتى نتذكر أن وجهاً من وجوه المدينة التي تشبهنا ما زال موجوداً. وهذا كان يعطينا أملاً بأن الثقافة باقية.

حالة غياب لمكتبات عريقة في هاوية الأزمات الاقتصادية الخانقة التي نعيشها الدولة يضاف إليها العزوف العام عن القراءة. ربما يقول قائل: إن حال المكتبات لا يمكن فصلها عن حال البلد الذي يشهد أزمة اقتصادية وحصار حتى طال الكتب أيضاً ودور نشر وطباعة في البلاد، والتي إما أقفل أصحابها الأبواب أو « ضبوا الشناتي « مهاجرين إلى الخارج أو تعرض أغلبها للتخريب، وبات إدخال أي كتاب بسبب الحصار أشق من إدخال أي مادة. وفيما مضى كان يكفي أن يطلب منك صاحب المكتبة مهلة ثلاثة أيام ليكون الكتاب في متناول يديك. بينما حين تهم الآن بالبحث عن أي كتاب يصدمك جواب أصحاب المكتبات: «ما تحاول، ما بيلتقى»، تسأل عن إمكانية جلبه من أي محافظة مثلاً، فيأتي الجواب على شكل ضحكة: «اذا التقى، بكون كتير غالي، وعالأغلب مفقود»،وهذا ما يؤكده صاحب مكتبة الحقيقة وهو رجل قارئ من الطراز الرفيع كما يتبين لزائر المكتبة من الدقائق الأولى: «نعاني من صعوبات جمّة كأصحاب مكتبات أولها صعوبة استيراد الكتب بل بالأحرى استحالة ذلك، خمسون بالمئة من الكتب التي كانت تتوفر لدينا أضحت مفقودة و ما عاد بإمكاننا ترميم النواقص» ويردف قائلاً «كانت دور النشر تقدم لنا حسماً قد يبلغ ٢٠/٢٥ بالمئة من سعر الكتاب، حالياً يقولون لي هذا سعر الكتاب، لا مجال للحديث عن حسومات، فاذا كانت دور النشر تبيع الكتاب ب ٥٠٠ ليرة سورية فقد أصبحت كل مكتبة تزيد على هذا السعر على هواها عند بيعها الكتاب للمواطن، هناك خلل واضح في تنظيم أسعار الكتب حالياً». اذاً باتت هناك لائحة بأسماء الكتب المفقودة وليس الأشخاص وحسب، تبحث عن خطة بديلة تباغتك ضحكة صاحب المكتبة الممزوجة بالغصة فلا تجد سوى هزة من رأسه فيها الكثير من اليأس، ربما لا مجال للمرواغة أو التحايل على مخلّفات الحروب في هذه البقعة من العالم. وبالطبع أدى هذا الأمر إلى انفجار اسعار فاقت طاقة المواطن السوري اللاهث وراء تأمين ما يسد به رمقه ويجعله يواصل حياته. واتجاه الأغلبية إلى الكتب الالكترونية أو إلى مكتبات الرصيف التي تعتمد على نسخ الكتاب المزور والذي تبيعه بنصف قيمته الفعلية ضاربة عرض الحائط بموضوع حقوق الملكية الفكرية . وحين طرحنا على صاحب دار كنعان للطباعة والنشر سعيد البرغوثي برر لزملائه من أصحاب المكتبات المتبقين منهم ب « القابضين على الجمر « معتبراً أن تداول الكتاب في المحصلة هو تجارة كما غيره من الأعمال، وهدفه تحقيق ربح ما، سوى أنه تجارة نبيلة. نغادر دار كنعان إلى شارع البريد القريب حيث تقع مكتبة النوري أقدم مكتبات دمشق والتي تأسست عام ١٩٣٢، وافتتحت الفرع الأشهر لها عام ١٩٦٩ ليكون أكبر مكتبات المدينة مساحة. الأمر الذي كان يتيح للزائرين فرصة التجول بين رفوفها كتفاً إلى كتف وتبادل الأحاديث مع أصحابها. صاحبها أقر بأنه « في ظل هذه الظروف الاستثنائية التي نعيشها من الصعب توقّع ما إذا كانت الأمور ستجري نحو الأحسن أوالأسوأ» ويبعث فينا التفاؤل حين يقول لنا « الأمور ليست بالسوء الذي يجري الحديث عنه. إذ أن هناك من لا يزال يدخل المكتبة ويشتري منها، كما لو أن الأمر طقس عبادة لديه. رغم الأوضاع المادية الصعبة التي تمر بها البلاد.» وندلف من شارع البريد إلى منطقة الحلبوني، سوق الكتب الأشهر ومركز تجمع بعض أقدم دور النشر. فإن كان قد تراجع حضور المكتبات ذات الطابع العلماني من جهة العناوين التي تبيعها، نتأكد هنا أن هذا التراجع كان على حساب طغيان مكتبات أخرى.

الأكيد أن ثمة خللاً كبيراً أصاب العلاقة بين الكتّاب ودور النشر والمكتبات، والجهات المعنيّة بهذا القطّاع. فدور النشر السورية لا تعتمد اليوم على المكتبات السورية لبيع كتبها، بل تعوّل على المشاركة في معارض الكتب في الخارج. والمكتبات بدورها لا تنتظر الزبائن السوريين، أو أقلّه المقيمين منهم داخل البلاد. فيما يعتمد الكثير من «مكتبات الحلبوني» على شراء المكتبات المنزلية، التي تُذكّر بوجود جيلٍ من المثقفين السوريين الذين أفنوا حياتهم يجمعون الكتب ويكدّسونها، وباتوا اليوم فئة نادرة في مجتمع تقضم الأزمة الاقتصادية من قدرته الشرائية، وتغير من أسلوب حياته يوماً بعد يوم.

ولا يسعنا سوى أن نتساءل في ظلّ هذا التردي المتسارع لمعالم طبعت حياتنا الثقافية في أوج ازدهارها : أي هو المعلم الثقافي الذي سيختفي الآن ؟

« سوريون تحت المقصلة» وتداعيات الحرب على سورية

سهيلة إسماعيل

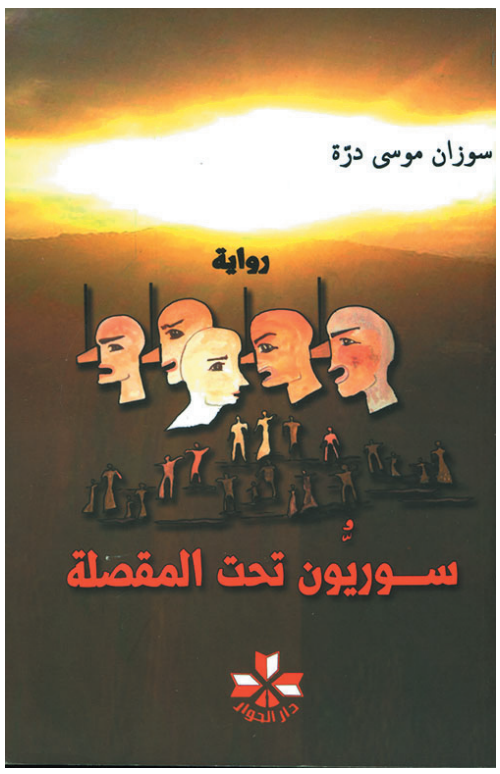

قد تصلح عبارة « سوريون تحت المقصلة « عنواناً لحدث إخباري، أو هكذا يتخيل المرء، لكنه في الحقيقة هو عنوان الرواية الأولى لابنة مدينة حمص سوزان موسى درة وقد آلمها ما حدث في سورية عامة وفي حمص وحلب خاصة، لأنها تعشق المدينتين؛ ففي حلب كان مكان عملها ومسكنها لمدة طويلة، وحمص مسقط رأسها، وكانت تنتقل بين المدينتين، فترجمت ألمها وحزنها وتأثرها الكبير عبر منتجها الأدبي الأول « سوريون تحت المقصلة» لتنقل لنا بواقعية وصدق كبيرين أحداث شاهدتها وشهدتها عن كثب، أحداث مفصلة عبر الزمان والمكان، بأسلوب سلس ولغة واضحة ومفهومة، مع التعريج على ألمها الذاتي المتجلي بفقدان عدد من الأحبة والأصحاب في حرب لم توفر لا الحجر ولا البشر، حرب أثقلت كاهل الكاتبة كما أثقلت كاهل جميع السوريين بمختلف أطيافهم وانتماءاتهم الحزبية .. على أن الكاتبة وفي كلمتها التعريفية بالرواية حددت زمن توالي أحداث الرواية يمتد بين عامي ٢٠١١ و٢٠١٧، أحداث واقعية وشخصيات عايشتها عن قرب، كن بأسماء مستعارة، مضيفة بأن المجتمع السوري ما زال أسير بعض العادات والتقاليد البالية الموروثة وهي بمجملها لا تقل خطورة عن الحرب، فنحن - برأي الكاتبة - صناع حرب بامتياز وأن الثورة الحقيقية تبدأ بإصلاح النفس البشرية قبل أي شيء آخر ليبدأ بعد ذلك إصلاح الأشياء الأخرى.

عالجت درّة جوانب عدة في ١٨٣ صفحة من القطع الكبير، منها الجانب الاجتماعي وما يحصل في بعض البيئات المنغلقة والمحكومة بموروث اجتماعي لا تتخلى عنه، وهو يشكل خطراً على البنية الاجتماعية ويقف عائقاً في تطور وتقدم المجتمع، أما في الجانب السياسي فبدا تأثير الحرب والنزاعات الدولية وما حدث على أرض سورية هو المسيطر والمؤثر على سير أحداث الرواية وما انعكس من إرهاصات سلبية، على البنية الاقتصادية والاجتماعية، وهذا الجانب كان المحفز الأول لما خطته يد الكاتبة من سرد واقعي جميل بدا انفعالياً في بعض الفصول وهادئاً في فصول أخرى .. حتى يخال لنا ونحن نقرأ الرواية أننا نسمع قطعة موسيقية تتناوب فيها النغمات بين منخفضة حيناً ومرتفعة حيناً آخر.

حظيت الرواية بندوة نقدية أقامها اتحاد الكتاب العرب في حمص بداية الشهر المنصرم، حيث اعتبرت الأديبة غادة اليوسف أن الرواية أظهرت صوتاً أنثوياً روائياً جديداً في المشهد الأدبي السوري يستحق التشجيع للمضي نحو إنجاز أعمال جميلة أخرى تعكس الواقع وتكون بمثابة وثائق ومصادر لتدوينه بكل مصداقية.

بينما رأى الناقد نزيه ضاحي أن الرواية تنضم إلى أبجديات روايات أخرى تحدثت عن الحرب السورية، وهي تبحث في نتائج وأهداف تلك المحرقة المؤلمة، فقد تمكنت الكاتبة من إثبات استمرارية اتقاد شعلة الحياة في سورية لتبقى تضيء وجه المشرق ويظهر ذلك من خلال دعوات الكاتبة الصادقة إلى استثمار معطيات الأزمة واستنهاض الهمم لإعادة بناء الإنسان والتعايش السلمي ونبذ التعصب بمختلف أشكاله..

فتقول الكاتبة :» ستنتهي الحرب، ورغماً عن كل رؤوس الإرهاب ستنتهي، ربما ليس في الغد ولا في العام القادم لكنها ستنتهي وعندئذٍ لن أنوح ما مضى وأرثيه كمن لا أمل لهم بالبقاء ولن أبكي دموع الفرح كعاشقة عند لقاء الحبيب .. لن أهرع للعرس الجماهيري ولن أصفق لعظات المسؤولين .. ما سأفعله مختلف تماماً؛ سأزأر كلبوة مفترسة وأناشد جميع الأسود لننهش عظام الخراف التي ستعيد اللقمة إلى فمها وتحاول مضغها من جديد، سأزأر كلبوة مفترسة حتى لو كلفني الأمر أن أقبّل جميع الأسود وفي أعالي جبالك يا سورية فلا يكتمل الاحتفال إلا بهمس النساء».

وحسب الكاتبة فإن للرواية جزءاً ثانياً سيصدر قريباً، والرواية صادرة عام ٢٠١٨ عن دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع في مدينة اللاذقية.

زاوية حادة..

الأدب الساخر

غسان شمه

يرى البعض، وهو محق بتقديرنا، أن الكتابة الساخرة من أصعب أنواع الأدب وأن المقدرة على انتزاع بسمة أو ضحكة من القارئ، أو من المشاهد لعمل كوميدي، قد تكون أصعب من الكتابة القادرة على رسم لوحات الحزن ومشاهد الألم، دون الانحدار إلى شيء من الابتذال، وهو يحتاج لكاتب يمتلك كاريزما وروح ساخرة وثقافة عالية وملاحظة دقيقة وخبرة حياتية، تنصهر جميعها في موشور إبداعه لتقديم هذا النوع من الأدب، وربما كان ذلك أحد أسباب قلة المبرزين في هذا المجال..

في لقاء شآم والقلم الأخيرة استضافت الزميلة نجوى صليبه الأديب والناقد نذير جعفر الذي قدم لمحة تاريخية ونقدية حول الأدب الساخر مشيراً إلى أحد مبدعيه المبكرين وهو لوقيانوس السوري في القرن الثاني الميلادي وتطرق لعدد من الأسماء المبرزة في هذا الحقل الإبداعي.. كما قدم الأديبان خضر الماغوط وعبد الوهاب محمد العديد من القصص التي حملت ظلال تجربتهما الفنية والفكرية..

ما يعنينا في هذا السياق الحضور المميز والحوار الغني مع الحضور الذي شارك في وجهات نظر حول مفهوم ومصطلح الأدب الساخر، وبنيته الفنية وفق المعرفة والتذوق الفني لكل من شارك، في دلالة مفتوحة على اهتمام لا ينقطع بفنون الأدب على الرغم من الظروف التي أخذت الكثير من في دروب الحياة خاصة وأن جانب من الحضور كان من جمهور الأدب والإبداع، والمهم أيضاً أن مثل هذه اللقاءات تؤكد على جماليات الأدب والفن التي ما زالت تؤكد حضورها ولو بشكل بسيط، لكنه تأكيد على شيء من جدارة الحياة من نافذة الروح الإنسانية المطلة على حضور الأدب واستمراره كقيمة جمالية فكرية وفنية..

من ملامح المشهد الثقافي السوري الحالي

مريم خيربك

الثقافة اصطلاحاً هي جميع مايكتسبه الإنسان من صنوف المعرفة النظرية، والخبرة العملية طوال حياته، لذلك تجدد هذه الثقافة طريقة تفكيره ومواقفه من المجتمع والحياة والدين والقيم، سواء أكانت هذه الثقافة من البيئة أم المحيط أم القراءة والإطلاع، أي إنّ الثقافة هي الكل المركّب لمكوناته: الفنون والعقائد، والأخلاق، والمعارف.

وقد صارت أدوات الثقافة كثيرة، وهنا أضيف إلى ماتلقيناه ونتلقاه عن طريق الرسومات والمخطوطات والكتب والفنون جميعها ماتنقله الآن وسائل الإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي وغيرها، لذلك أصبحت السيطرة على هذه الوسائل من قِبَل مجتمع ما للحفاظ على ثقافته، التي تشكلت عن طريق الأفكار والعادات والتقاليد واللغه والقانون والأعراف معرّضه للانتهاك بسبب عدم وجود نواظم تربوية صارمة من قِبَل الدولة والأسرة تمنع أطفالها وشبابها من الإطلاع على هذه الفوضى العارمة لما يُضَخ، سواء قبل حروب (الربيع العربي) أو أثناءها، لذلك سأتوقف عند كل مكوّن من مكونات الثقافة لمتابعة حالها من خلاله في سورية.

في العصر الجاهلي قال شاعر الحكمة زهير بن أبي سُلمى، وكانت الحرب بالسيف والترس والناقه، والأشعار والأدب:

وما الحربُ إلّا ماعلمتمْ وذقتُمُ
وما هو عنها بالحديثِ المرَجّم

فما بالنا والحروب لا تترك مَنطقتنا ككل وسورية كإحدى دول المواجهه المهمة بشكل خاص، فمن العدوان الثلاثي على مصر إلى حرب ١٩٦٧، إلى حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣، إلى الحرب الإرهابية الأولى على سورية ١٩٨٠، إلى الحرب على العراق ٢٠٠٣ إلى حرب ٢٠٠٦ على لبنان ودور سورية في المقاومة، إلى حروب (الربيع العربي) الكارثية، التي لم تترك نوعاً من أنواع السلاح المادي والمعنوي إلا واستخدمته لتحقق الصهيونية العالمية، وإسرائيل تحديداً سياسة (الأرض المحروقة) التي تحدثوا عنها كثيراً من خلال سياساتهم الاستعمارية، التي تذكرني بمقولة قرأتها لأكثر من سياسي في الكيان الصهيوني الإسرائيلي: كل ثلاثين عاماً نشن حرباً على المنطقه العربية، تجعلهم يعيدون بناء مادمرناه على مدى ثلاثين سنة بعدها، وهكذا.....

إنّ الحروب القديمة كانت أقل دماراً للحجر والبشر كما الآن، واختراق المجتمعات كان أصعب بكثير، لأنّ كل تطور البشرية الآن يُسَخّر من أجل تدمير الإنسان قبل كل شيء، انطلاقاً من مبدأ سياسة الأرض المحروقة، والقتل الأبيض...

وبالطبع ستكون الثقافة مستهدفة بكل مكوناتها، التي سأقف عند كل مكون فيها لأرصد ماحلّ به على مدى سنوات هذه الحرب، التي مرت علينا، وكانت كما صرّح كثيرون من ساسة العالم ومفكروه الحرب التي لم يشهد التاريخ مثيلاً لها، ولاسيما الحرب على سورية، لأنها استهدفت الفكر قبل الحرب العسكرية، كما استهدفت العادات والتقاليد، واللغة، والقانون، والآثار، وكل جزئيات الحياة فيها.

حين بدأت الحرب على سورية كان الوليد السوري يفتح عينيه على النور، ودولته لا تُحمّله قرشاً واحداً كَدين، وباعترافات أعدائنا من خلال دراساتهم التي جيّروها لصالح حربهم، ثم اعترفوا بالحقيقة، كان الاقتصاد السوري أعلى معدّل نمو في المنطقة، وكانت طبابة وتعليم السوري في جميع مراحل الدراسة مجانية ...مع نهوض في بناء المشافي والمراكز الثقافية، والمدارس، والكثير من المنشآت في جميع قطاعات الدولة الاقتصادية وغيرها.

ومع كل هذا كنا نطلب المزيد، منتقدين وجود بعض الفساد، الذي كان موجوداً في معظم الدول، رغبة منا في وصولنا إلى الدولة الأمثل في جميع النواحي، وإلى الوطن الأقوى الذي يستطيع أن يجابه غطرسة عدو إلى جوارنا يهددنا في كل لحظة، وأعداء آخرين يدعمونه...

كانت سورية أفضل من جميع الدول العربية بالنسبة لمعيشة الفرد، وللحركة الثقافية، والتعليمية، والحركة السياحية، التي هي شكل من أشكال الثقافة، رغم أنها دولة صغيرة، وليست كدول النفط تملك ثروة نفطية كبيرة، وتحملت معاناة استهدافها بالحروب، ومعاناة استهداف العرب كحرب العراق، والحرب اللبنانية على مدى سنوات، ومعاناة العقوبات الاقتصادية لسنوات طويلة....

رغم كل هذا وصلت سورية إلى ماوصلت إليه قبل الحرب عليها، ولاسيما في مكونات الثقافة التي كنا نريدها أفضل وأفضل، وخالية من غير الجديرين، ومن الفاسدين الذين ساعدوا أعداءنا على اختراقنا، عبر ثقافة دينية كان لدول الخليج دور كبير فيها، وعبر فكر وافد من أشخاص استطاعوا أن يبنوا مجداً في صحافة ساعدتهم على الانتشار بحجة المعارضه للنظام، وتضليل بعض الناس الذين كانَ الجهل يسيطر على نسبة كبيرة منهم، أو بعض المظالم، أو الإغراء بالمال والجنة الموعودة فيما بعد، وهؤلاء المحرضين والمحركين لما حدث كانوا من جميع التيارات السياسية والفكرية التي اخترقت المجتمع السوري فخلخلت بنيته الفكرية، التي كانت في قسم منها مبنية على موروث في الدين والعقائد جعلها صيدة وأداة سهلة لأصحاب المخطط التآمري، ماجعل هذه الشرائح تتصارع مع المختلفين عنها، وحتى فيما بينها، بسبب الاختلاف في مستواها الفكري والثقافي وحتى الوطني، وبسبب التربية الدينية المتشددة الوافدة التي لم تكن من سمات المجتمع السوري، وبدأت مع حلول كيان غاصب في المنطقة، شأنه شأن جميع المستعمرين، يقيم قاعدة وجوده على شعار فرّق تَسُد، وهذا الفكر طال للأسف نسبة مهمة ممن هم منتمون إلى الحزب، وهذا يدل على البنية العقيدية المشوهة عندهم، والإيمان بمصلحتهم فقط لا مصلحة الوطن، وقد تجلى هذا عند من تأثر بأموال الخليج حتى من اليساريين، وأيضاً هذه كانت ثقافة انتشرت كالنار في الهشيم لتخلخل بنية المجتمع وتسبب فيها شروخاً وتصدعات كبيرة مع بدء الحرب، ساعد في تزايدها دخول عدد كبير من العرب والأجانب الذين كان الإرهاب طريقهم الذي اتبعوه وفرضوه على من ذكرناهم وكانوا الوقود.

وباعتبار أن سورية دولة فسيفسائية في بنيتها الاجتماعية، وهذه الفسيفسائية هي أحد أسباب حضارتها، وخصوصيتها الثقافية إلا أنها كانت سبب اختراقها في الحرب وقبل الحرب، لوجود أشخاص قادوا الناس قومياً وإثنياً ومذهبياً وطائفياً إلى مواقف أقنعوهم أنها الموصلة بهم إلى الأفضل، سواء بالمال أم الترهيب والترغيب ...وربما تكشفت هنا هشاشة الثقافة الوطنية عند الكثيرين، التي كان يجب أن تطغى في هكذا حالة، وتذكرنا بقبلية الفكر المتخلف الذي عاد ليحكم ويتحكم بالمواقف، وكأن الناس لم ترَ أو تعيش حالة ثقافة أخرى كان يجب أن تكون حامية لها من هذا الدخول في معترك المذهبية والطائفية والإثنية والإقليمية و...و...

لكن في نفس الوقت لابد أن نقول بوجود ثقافة وطنية متجذرة في كل بقعة من سورية واجهت هذه التشوهات، ولولا هذا لما كانت سورية قائمة الآن، ولتفككت كما ليبيا، أمام خطط لم تترك سبيلاً إلا واتبعته، ولا وسيلة إلا وسخرتها بالتعاون مع القريب قبل الغريب، ومع ابن الوطن قبل الجار، واستحضار أكثر من ثلاثمئة ألف مسلح من أصقاع العالم، إضافة لمن ساعدهم من السوريين وانضوى تحت سلطتهم، يساعدهم إعلام عالمي وعربي تحديداً،ومخابرات عالمية متنوعة، وهذا من أخطر أشكال الحروب التي تحدّث كثيرون من ساسة الغرب والعرب عنها وفضحوها ...

المكون الفكري

لكل هذا ونتائجه مازالت الثقافة الفكرية وغير الفكرية، بكل أشكالها، في حالة الدفاع عن وجودها وكيانها، تحاول الوقوف متوازنة، وتبدأ بإعادة بناء نفسها لإعادة تماسكها ومن ثمّ نهوضها على صعيد الإعلام والأدب والتعليم والفنون بكافة أشكالها، والتي جميعها رزحت وماتزال ترزح تحت ثقل التدمير والتفكيك الذي طال كل شيء وأخطرها بنية الإنسان الثقافية والفكرية والتعليمية التي تحتاج إعادتها إلى زمن، وإلى تخلص من الوضع الاقتصادي المدمّر.

أما العادات والتقاليد والقوانين المتبعه في الحياة والداخلة في كل جزئياتها وهي شكل من أشكال الفكر الموروث فقد انتُهكت بسبب الإرهاب الفظيع الذي مورس من قِبَل الوافد، ومن قبل أفراد من السوريين تم شراؤهم أو السيطرة عليهم بسبب التخلف والجهل وبعض المظالم، وهي بيئات موجودة في كل أنحاء الوطن العربي، المُبتلى بالاستعمار واتباع سياسة (فرّق تَسُد) التي يكون الدين أهم حامل لها، ولاسيما في وطن فسيفسائي التكوين الاجتماعي مايُسَهّل اختراقه عليهم للوصول إلى أهدافهم ...

لذلك نجد الآن أن بعضهم ممن سعى نحو مصالحه فقط مازال في نفس موقعه، متشبثاً بأفكاره، وبعضهم عرف أنه تم استخدامه ودفع الثمن بكل شيء، وهؤلاء يعودون إلى موقعهم في الوطن، وبعضهم لا يحاول تحمل تبعات الحرب مع الآخرين فيسعى للهجرة، لذلك نجد تغلغل أفكار كثيرة في ذهن السوري لن تخرج إلا بعودة الاستقرار بكل أشكاله إلى سورية، والسعي الحثيث لبناء مادُمّر بكل وطنية ونزاهة وإخلاص، لأن المخطط مازال متابعاً بضخ آلاف الصفحات والفيديوهات لتوجيه عقولنا إلى حيث يريدون، لتدمير هويتنا وثقافتنا وكل حياتنا، فهل نواجه بشكل سليم ؟.....هذا ماستثبته الأيام، وما سيثبته وعي شعبنا الذي حقق جزءاً مهماً من الانتصار ..

اللغة...أهم مكونات الثقافة

وإذ أنتقل إلى اللغة، المكوّن الأهم للثقافة، التي نجد أنها أول ما استُهدف، دأبَ المستعمرين، لأنها وعاء الفكر والثقافة،الذي سيغيرون كل محتواه، إن استطاعوا ..

فالمحتل قبل كل شيء يلعب على المفاهيم والمصطلحات، وعلى الذاكرة اللغوية الشعبية، وهذا ا ماتم في هذه الحرب، فاختُلقت مفردات ومصطلحات شعاراً (لثورتهم)، كان يرددها الناس في البداية دون وعي لخطورتها، ثم مالبثت أن تراجعت عن ألسن الكثيرين، لكن جميع البيئات الحاضنه ظلت ترددها، عن جهل أو إكراه، وإزالتها من بيئاتهم تحتاج إلى وقت، وتغلغل ثقافة وطنية بديلة تجذبهم إليها...

أيضاً عبر لغة ومفردات مدروسة ومنتقاة صاغوا للأطفال والكبار أغاني وأناشيد حفظوها وصاروا يرددونها، كما ألّفت مناهج تعليمية عباراتها وكلماتها ولغتها تكرس فكرهم ومبادئهم في (ثورتهم) التي كان يرافق ترددها برفع علم (الانتداب) بدل العلم السوري الذي هو رمز الوطن وليس رمز النظام كما يدّعون...

كل هذا اختُزن في ذاكرة الأطفال، وحتى الأهل عندما انتشر المسلحون وسيطروا على ثلاثة أرباع الأرض في سورية، لكن كان أخطر وجه للغة عندهم هو سيطرة ألفاظ الذبح والقتل والدم و..و...التي لها تأثيرها الكبير على بنية الإنسان النفسية، لذلك نجد أنّ كل هذا أدى أيضاً إلى نشر ثقافة غريبة كلياً عن ثقافة الطفل السوري، وعبر مناهج تعليمية لتظل عالقة عبر اللغة في لا شعورة يوقظونها متى أرادوا....

صحيح أن الدولة، ومنذ لحظات الحرب الأولى تحاول بناء مادُمّر عندهم، لكنّ التأثيرات ستظل في العمق ولن تزول بسهوله، وحائلاً دون عودة هؤلاء بسرعة، كباراً وصغاراً، إلى الانسجام مع مجتمعهم كله، ولاسيما أن نسبة كبيرة من الأطفال وُلدت وكبرت في أجواء الحرب، وما تزال تتلقى ضخاً في نفس الاتجاه القومي والطائفي والمذهبي والوطني عبر وسائل التواصل الاجتماعي التي تغزو البيوت، هنا لابد من مناهج تعليمية وتربوية مدروسة بدقه، بما يتناسب ووضع هؤلاء، ومن برنامج ثقافي وطني شامل، يأخذ بالاعتبار خصوصية تعدد البيئات ليخفف من تأثير ماحدث، ويبني من جديد الإنسان السوري الذي تعرض إلى تدمير بنيته النفسية والوطنية والتعليمية والثقافية، لأنّ الدولة هي وحدها القادرة على هكذا برامج ومشاريع في جميع أرجاء الوطن، وهي الوحيدة القادرة أن تمنح الاستقرار والأمان اللذين لهما التأثير الكبير على الإنسان، واللذين فقدهما كل سوري في هذه الحرب، إلى جانب مدّ جسور الثقة بصدق وعمل دؤوب بين المواطن وسلطته ودولته ووطنه.

مكوّن الأعراف والتقاليد والقوانين

كانت الأعراف والتقاليد، المكون المهم لثقافة السوري مستهدَفة كما الفكر، وكما اللغة وغيرهما، من خلال تجيير اختلافاتها وتعددها وتنوعها لا لإغناء ثقافة المجتمع والدولة السوريين بل لتناحره، وتفريقه في مجتمع متعدد المكونات، كل مكون اعتاد أن يعيش بخصوصيته وضمن أعرافه وتقاليده وقوانينه المجتمعية محترماً لخصوصية المكون الآخر وكل مايخصه مما ذكرناه دون خوف أو تنابز ...لكن مع تسخيرهذه الأعراف والتقاليد لخدمة المخطط الإرهابي الإحتلالي صار الأمر أصعب بكثير، لأن من عاني وربما مايزال يعاني يخضع إلى سيطرة الخوف القاتلة، وردات الفعل غير المحسوبة، وأظن أن عودة سيطرة القانون شيئاً فشيئاً بوعي وطني مسؤول، ومحبة وإصرار على إعادة بناء سورية من قبل شرفائها الذين صمدوا طوال هذه السنوات تتجاوز جميع المحن، قد يكون ببطء بسبب إصرار أعداء الخارج والداخل، ووضع العصي في العجلات، ولكن تجاوزها غير مستحيل حتى مع الصعوبات، هذا ماأكده التاريخ والشعوب، وأظن أن الأمر بدأ، وسيعود من ضُلّل وساعد عن غير قصد، ومن أُجبِر بسبب الظروف، ومن أُرهِب و...و...و..

هنا سأتوقف عند شأن الكتاب وثقافة المطالعة والنشر والكتّاب، التي يرى فيها كثيرون كل معنى الثقافة..

ككل مكونات الثقافة كان حال الكتاب والكتّاب وعملية النشر وما يتعلق بها، والمطالعة وجوانبها. وربما تأثره أكثر بكثير بسبب الوضع النفسي والمعيشي القاهر الذي يعانيه السوري بالذات، أجهز عليه الوضع العربي والقطيعة العربية لسورية، الشرط المهم في حرب الأعداء، ومخططهم، وأكبر دليل دور الجامعة العربية المخزي....لكن رغم هذا ظلت المشاريع الثقافية من قِبل الدولة طوال الحرب، وساعد فيها وسائل التواصل الإلكترونية البديلة للكتاب والإعلام الورقي، أما بالنسبة للكتّاب وصمودهم ودورهم فهذا حديث يطول..

رغم هذا التفصيل الذي ذكرته أرى أنّ شعباً خرجت من أرضه أسطورة طائر الفينيق هو شعب لا ولن يُقهر، ولا بد أن يعيد شرفاؤه في كل بقعة منه بناءه بأسرع وقت.

وأنّ دولة ظلّت متماسكة بفضل أبنائها الشرفاء في كل موقع وبقعة، وأصدقائها الأوفياء لاثني عشر عاماً أمام أفظع حرب عالمية، وظلّت تعلّم أبناءها وتعالجهم مجاناً، وتقدّم كل ماتستطيع رغم الدمار الذي حلّ بها وقانون قيصر، وحرق الأراضي والمحاصيل وكل أشكال الحصار هي دولة جديرة بالحياة بكل المعاني، مهما كنا نعاني من التبعات الآن. ولا بدّ أن تعود لتعتز بكل شريف من أبنائها أينما كان، وبآثارها، ومتفوقيها، وموظفيها وجنودها الأبطال المصرّين على النصر، وثقافتهاالتي مازالت تدافع عن هويتها رغم كثرة المتآمرين من الداخل والخارج، وأساليبهم وخططهم، وإعلامهم الكاذب..

الكوارث تلهم إبداعاً

مها محفوض محمد

هل الإبداع إلا القدرة على التقاط اللحظة الفارقة والأحداث الأليمة التي تمر بها المجتمعات؟ وكيف يكون الإبداع من روح المجتمع ونبضه إذا لم يكن قادراً على التعبير عن الآلام والمعاناة والأفراح أيضاً ؟

عبر التاريخ كان الابداع كذلك وسوف يبقى، استلهم من الحروب من المجاعات، من كل شيء يحيط بنا، وحول اللحظة الكارثية إلى تاريخ من الجمال، كما فعل مع الفرح، في استجابات الإبداع للأحداث الكبرى الكثير مما يقال، إذا كنا لا نستطيع بمقال واحد أن نشير إلى ذلك فسوف نبدأ ببعض الوقائع الكبرى وصولاً إلى الحدث العالمي الأخير (كورونا) وكيف استجاب الإبداع للحدث، ولكن لنبدأ من الأحداث التي وقعت منذ فترة فعندما ضرب بركان منذ عقد من الزمن أيسلندا

بدأت شركات الإنتاج السينمائي الأوروبية والأميركية ترصد ميزانية خاصة لإنتاج وإخراج أفلام عن الحدث

فمنذ أن قذف البركان الآيسلندي غيوم الرماد الكثيفة وشل الفضاء الجوي الأوروبي، خلق شعوراً بالرعب على المستوى العالمي، وأعاد إلى الأذهان مخاوف الأسلاف مما حصل لمدينة بومبيي الإيطالية.

ففي العام ٧٩م حلت كارثة أرضية رهيبة بمدينة بومبيي حين اندفع بركان (فيزوف) الذي يعتبر أقوى بركان في تلك الحقبة التاريخية (١٢٧٠م) حيث غطى المدينة بكاملها وخلال ساعات تحنط سكان المدينة الهادئة وتحولوا إلى مستحاثات.

بقي الحدث الرهيب محفوراً في الذاكرة على مر العصور وتركت المأساة آثارها المديدة في الثقافة الشعبية وفي اللاوعي الجماعي، في ذاكرة الشعوب والمخيلة الأدبية ومنها عثر على أسطورة نهاية العالم التي تبقى أزلية وكأنها محفوظة في علبة مجوهرات متجمدة كحمم البركان.

وعلى سبيل المثال أيضاً في روايته «آخر أيام بومبيي» ١٨٣٤، يعود الكاتب ادوار بولويرليتون إلى الساعات الأخيرة التي سبقت الكارثة المفجعة والتي لم يتخيلها أحد، إذ اعتقد سكان المدينة حينها أن الأرض ترقص تحت أقدامهم ولم يتوقعوا أن يحصل ما حصل فقد اختفت ثلاث مدن اصطياف وكأنها لم تكن، إنما الحدث الرهيب جعل الإيطاليين يعتقدون فيما بعد أنه كان عقاب القدر على الممارسات الوحشية لقوات الامبراطورية الرومانية التي غزت العالم القديم وأن ذلك عقاب رباني.

هذا الحدث تم نقله إلى الشاشة عشرات المرات، ففي العام ١٩٣٤ قدمه أرنست سكودساك مخرج فيلم كينغ كونغ، ويبدو أننا دشنّا عهداً من أفلام الكوارث - دون أن نعلم - والتي تدفقت على الشاشة الكبيرة بدءاً من أعوام الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي.

في العام ١٩٥٩ تم نقل رواية جيل فيرن «رحلة إلى باطن الأرض» إلى الشاشة وقام بذلك جيمس ماسين غير أنه لم يشبع رغبات الهواة من أفلام الكوارث لأن ما يفتن هؤلاء فقط ثوران قوى الأرض وهيجانها، وفي روايتيه «الجزيرة الغامضة» أو «بركان الذهب» يستهل فيرن بوصف مدهش لقوى الزلازل التي تواجه بعضها كما يظهر شغفه بعلم البراكين.

أما السينما الهوليوودية التي تعود وتفتح أدراجها القديمة كل بضعة عقود لتعيد تصوير نسخ جديدة من هذه الكوارث، فقد أعادت اكتشاف الاهتزازات البركانية المرعبة نهاية عام ١٩٩٠ في فيلم «قمة دانتي» إخراج روجيه دونالدسون، ثم تبعه فيلم «الجبل الغاضب» المتقن بفن المتفجرات والألعاب النارية، ثم فيلم «البركان» عام ٢٠٠٤ و«البركان الثائر» عام ٢٠٠٥.

لكن في كل مرة تعيد إخراج أفلامها بحلة جديدة وإضافة قصص حب كخلفيات لها. ولشركات الرسوم المتحركة تاريخها في هذا المجال، إذ إن الخيال الذي صور القيامة مع البراكين ظهر منذ سنة ١٩٤٠ وخاصة مع اندفاع بركان كاراماكو، ولا ننسى جزيرة المغامرات البركانية (تان تان) في الرحلة ٧١٤، وفيها يقدم لنا الكاتب ايرجيه البراكين على أنها وحوش نارية تهدد بإبادة وفناء كل حياة على الأرض مع كل اندفاع بركاني، وفي «النجمة الغامضة» نشتم أيضاً رائحة نهاية العالم.

وخلافاً لرأي ايرجيه فإن الإيطالي هيغوبرات يضع في مشاهده البراكين ضمن إطار الميثولوجيا، أما البطل كورتر مالتيز فيعيد التذكير بأسطورة غرق جزيرة أطلنطا الساحرة التي ذكرها هوميروس في ملحمته وتغنى بها شعراء الإغريق والرومان لأنها كانت أجمل بقاع الأرض وعرفت بثرواتها وكنوزها ومازالت تحرك مخيلة الكتّاب.

وفي «مدينة المياه المتحركة» قام المؤلفان ميزيير وكريستان بإلقاء بطلهما فاليريان وسط حبكة قيامية يتصارع فيها من بقي على قيد الحياة من نهاية العالم مع الهيجان البركاني.

كما تدخل هوليوود الإرهاب إلى أفلام البراكين، فعلى خلفية تجسس وتآمر يزرع أحد الارهابيين قنبلة داخل فوهة بركان لتتفجر الحمم وتؤدي إلى تعطيل حركة المجال الجوي الأميركي بكامله.

خيال ميثولوجي، مخاوف، أمور لايقبلها العقل وأساطير عن القيامة كل ذلك يلقى إقبالاً جماهيرياً واسعاً في دول الشمال يستغلها كتاب السيناريو وشركات الإنتاج لتعميم ثقافة الرعب التي رددتها وسائل الإعلام والدليل على ذلك انحسار أفلام قصص الحب الرومانسية وأفلام الخيال العلمي.

وفي كل مرة تهتز الأرض وتضطرم السماء هناك ومن تحت رماد البركان، يتعانق الموت والفن والأدب بطريقة وهاجه.

ذاكرة

جميل حداد: حاصرني الأسى فكان الشعر .. وفي دمشق موعد الصبح بعد الليل يبتسم

.منذ خمس سنوات ونيف كان لقائي مع الشاعر والمفكر والسياسي والأب الإنسان قبل أي صفة الأستاذ جميل حداد..
كنت أقرأ له ..تهيبت لقاءه ..ولكن صوته الدافىء كان كافياً لأن أغذ السير إلى مكتبه حيث تحوط المحبون ..
لقاء الأحبة والمتابعين لإبداعه الثرالغني ..
وكانت جلسة حوار لم ولن تزول من الذاكرة.
ومازال الشاعر مع بداية كلّ خريف حنينه إلى دمشق ونضجها ..دمشق التي بادلته حباً بحب ووفاء بوفاء ..
الأستاذ جميل حداد الذي أعطى الشعر عمره وجهده ووثق وخلّد الأحداث بما كتبه
اليوم في دمشق التي تحتفي بكلّ المبدعين فكيف اذا كان ابنها ..في هذه الورقة الخضراء المستعادة ..نعود إلى شاعرنا وما باح به.
كما ترف حمامة بعد طول غياب ، وتحوم حول المكان لا تدري من أين تبدأ مشوار الحنين بعد طول غياب ، يعود الشعراء مجبولين بالالم ، بالأمل بحب شغف القلب وما بارحه أبداً منذ أن وعوا هذه الأرض الطيبة المباركة ، فكيف إذا كان الشاعر ممن تمرّس بالعمل وعبق العطاء ، ومن طيب الأرض والناس كان ،
ودمشق مهواه ، إنه الشاعر جميل حداد ، بعد غياب دام قسري يعود بعد أن تعافى إلى أرض الوطن ، حاملاً الدهشة التي خبأها بين الفؤاد وخفقة الكبد ، كما نسمة وسنى يمشي في حارات دمشق يطالع الأمكنة التي افتقدها ، كبر الحنين عليها حتى تدفق نافورة من البوح الشعري ، في مكتبه بدمشق وعلى غير موعد كان لقائي معه ، هو لقاء مكاشفة سريعة من غير تخطيط ، ومن غير وعد لأن هذا البوح الثر سيكون مادة صحفية ، بطيبة من يعمل بالكلمة وللكلمة ، ومن أجل اليوم والغد كان القليل من السر الذي دفعه لأن يعاقر الشعر ولو بعد نصف قرن من الزمن ، ويصدر ديوانين شعريين عن دار البشائر في دمشق ، والثالث في الطريق على القافلة الشعرية ، ماذا يعني أن تعود إلى الشعر بعد خمسين عاماً ونيف ؟
بالتأكيد ليس الأمر عادياً ، ولكنه ليس بالمستبعد لأن الذاكرة والذائقة الجمالية التي اختزنت هذا الثراء الفكري واللغوي والدفق الجمالي عبر موهبة فطرية حقيقية ، صقلتها تجارب الحياة ، وأعطتها بعداً إنسانياً هذا كله جعلها تختبيء ليوم كهذا ، فيكون الدفق قوياً غزيراً ، حاملاً معه الكثير من ألوان الحياة المكنوزة والتي شفت حتى صارت بلون النور تشع طيبا وألواناً من البيان يعيدك إلى ألق الشعر الذي افتقدناه طويلاً ، بعد أن جاءتنا موجات الاستشعار الأزرق عبر الفيسبوك ومواقع التواصل ، والتهريج الذي نراه حتى من قبل ممن ترك بصمة في عالم الشعر والابداع ، فإذا به ينحرف على وديان أخرى غير ذي زرع ، جميل حداد الذي فاض بالحديث عن ذائقته الشعرية والتقاطه موسيقا الشعر سماعياً وبرهافة كبيرة ، ادخر هذا كلّه ليكون في لحظة الانعتاق من مشاغل كان لابدّ منها في دروب الحياة.
وحين يسرد الكثير من الوقائع التي تدل على أن برق الشعر مهما اختبأ لابدّ أنه سيتفجر يوما ما ، يدلل على أن الموهبة الشعرية لايمكن ان تشترى ولا تباع ، وستكون قادرة على أن تهطل يوماً ما بعد أن امتلأت واختزنت بكلّ ما يجعل للقصيدة من معنى ، وما تحمله من ثراء الدلالات ، وحين أساله : لماذا الشعر الآن ؟ يجيب قائلاً : حاصرتني هموم الحياة ومآسيها ، تدفق الأسى إلى قلبي و رفاق يمضون ،أحزان وآلام محطات كثيرة من الفواجع ، ولعل أكبرها ما يحصل لسورية من حرب عدوانية همجية مجنونة ، سورية التاريخ والحضارة والعروبة والثقافة ، والانسانية من غير تعصب ، هذا كله حاصرني، اعتصر الغيمة التي اكتنزت حتى هلّت مدراراً فكان أن اصدرت كما تعرف ديوانين شعريين في دمشق ، هما :صدى الحنين ومزن الخريف والديوانان من نبض الناس وشغف القلب وعبق اللغة الشعر تدفق في الفرح كما في الرثاء ، هنا ستقرأ رثاء لأحبة واصدقاء و تقرأ ما جال في القلب من لواعج الحنين إلى الاهل والأحبة والوطن ، ستجد صوت الابطال ممن يصنعون النصر ، ستجد حلب وادلب ودمشق واللاذقية ، وكل بقعة سورية ، مزن الخريف نضج يهل كما الكروم المعتقة ، والحنين نوافير لا تهدأ ، ولست أول شاعر يداهمه الحنين فيكون دفقاً أقوى من كل محاولات الصد أو التهرب من سكبه مضرجاً بآلام الولادة .
في الجعبة الكثير ، واليوم في دمشق أشعر أن الولادة تتجدد كلّ ساعة كل يوم وكل لحظة والكتابة بعد أن داهمتني وأنا قد وصلت السبعين ونيفا ، هي ملاذ يفرج الكثير مما في دفء القلب والروح إنها دمشق التي أقول فيها :

سمعت جلق تشكو طعم من ظلموا
تاريخها كان سيفاً عزّه القلم
تشكو عباءتها عقاً بما حضنت
كانت عباءتها فيئاً لمن ظلموا
سيشرق الصبح مهما طال موعده
وموعد الصبح بعد الليل يبتسم .

ومن جميل ما قدّمه الشاعر محمد حديفة لديوان جميل حداد قوله:
يحار المرء من أين يبدأ بالحديث عن هذا الرجل، أمن طفولته المعذبة والقاسية المحكومة بشظف العيش وقسوة حياة لفلاح بسيط تقي وورع يكسب عيشه بعرق جبينه ليقدّمها حلالا لأبنائه السبعة، أم بالحديث عن صلابة الرجل الذي عقد العزم على أن يواجه الحياة وقسوتها بمزيد من الصلابة والجلد، وفي قلبه إيمان راسخ بأن الرجال وجدوا ليشقوا طريقهم، ولو كانت الطريق وعرة المسالك وكثرة العثرات.
مزن الخريف، فانه يقع في٣٠٠ صفحة من القطع الكبير ويقدم بين دفتيه أيضاً أكثر من ٣٠٠ قصيدة، من لون الحياة وآمال الناس وهمومهم، تتنوع القصائد بين ألوان الشعر العمودي كلّه، من الوصف إلى الرثاء إلى الاخوانيات التي بدا الشاعر شغوفاً بها، وجاءت كأنها سجل للحياة بحلوها ومرها، لايترك شيئاً يعنيه إلا ويدونه شعراً، ويطلقه قصيدة تجد مساحة من الألق والدفق الشعري الحقيقي، فمن رثاء الأحبة كما في رثاء الشاعر سليمان العيسى وغيره من الأصدقاء الى اللوعة على الوطن والبعد عنه، فهاهو في قصيدته ١٨٦ يفيض حنينه إلى أرض الوطن إذ يقول:

يا دار طال غيابنا يا دار..
فدموع عيني قد أتتها النار
كانت دموعي في الوداع سخية..
لكنّها بعد الفراق سعار
هل تذكرين وداعنا عند الضحى..
هل تذكرين بماذا فاه الجار
ونظل نشدو كل الحان الضحى..
حتى يعود لموطني الأحرار

ونقول مع من قال خير مقولة.. وطني عليه من الزمان وقار
ولايغيب السؤال الفلسفي الوجودي عن بال الشاعر الذي عرك الحياة وخبرها ففي القصيدة رقم ٢٣٧ يقول:

الى أين نمضي والزمان يسوقنا.. وقافلة الأيام يقطرها القهر
الى أين نمضي فارساً بعد فارس.. تواكبنا المأساة يأخذنا الغدر

أما الديوان الثاني فقد جاء تحت عنوان: صدى الحنين وفيه يكمل بوحه الشعري الآسر الذي يقودك من تخوم الحبق إلى مزارع الفل والقرنفل يقدّم لك تجربة حياة وخلاصة فكر نير يعرف كيف يصوغ الحرف ألقا، وكيف يكون الوطن مزماره ونغمته التي لايمل منها، يشدو بها ساعة تلو ساعة ففي قصيدته بنت العروبة يقول:

بنت العروبة لاحزن ولاغضب.. يوازي آمالنا حبا كما يجب
إننا نناشد من حبوا ومن كرهوا.. إنا نناشد من قالوا ومن كتبوا
تغفو على جرحنا آلام فرقتهم.. وفرقة اليوم فيها الذل والسبب
والوطن هو الشام وحلب وكل ذرة تراب من سورية:
شهباء اسمك محفور على الشهب..

بقي أن نشير إلى أن الشاعر من مواليد اللاذقية عام ١٩٣٥ حمام القراحلة، تقلد مناصب حكومية كثيرة من محافظ ادلب عام ١٩٦٣ إلى وزير للاصلاح الزراعي عام ١٩٦٦م.

لا تخجل من شدة البريق

شهناز صبحي فاكوش

تلتمع النجوم في السماء فلا تخجل من بريقها.. وكذا الشمس عندما تعكس ضياءها على الزجاج الدمشقي الملون، بريقه أقرب لنفس عاشق الشام من بريق الماس.. وهو لا يخجل من لمع عينيه وتلألئها حين يتحدث عنها ويصفها.. فهو انعكاس لحالة حب شامية شفيفة عذرية..

تجود بعض العيون بوميض الدمع رغم حزنٍ أثقل الروح، هَطْلُ بريقٍ يلتمع فيها، ليضفي على الوجه الحامل لهما تراتيل الشغف والهيام، وأسارير الفقد والغياب، ونواح القلب على أوتار الأنين والنحيب.. تتهادى تنهداتها في حشرجات الروح، بين صهيل الأنفاس.. وانعتاقها..

للطيبة بريق لا يمكن أن نخجل منه، يبهر النفوس حين يجمع أشخاصاً لم يحضنهم رحم. في ناقل سفر أو مقود عمل، مقعد دراسي، أو جمعٌ في القوات المسلحة، ما يجعل المصير الواحد القاسم المشترك الأعظم بينهم. مع من لا ينسى العِشرة، لأنه تربى في كنف عظيمين، أم وأب.

عظيمين حقاً.. لأنه كلما تقدّم به العمر ازداد بريق حياته توهجاً. فهما سر وجوده.. ومن حجب عن قلبه السواد منذ مهد بداياته الأخلاقية، وأوقرا في قلبه وسلوكه الاحترام والأدب.. وأسسا له سبل الطريق القويم، والبحث عن الرفيق الصادق، مَنْ ظِلّه أوسع من ظل شجرة مهما عمّرت..

صديقٌ الأخذ منه أطيب غذاء للنفس والروح، وطعم الأوقات معه أحلى من الرطب في موسم جناه.. فهو لن يضر صاحبه إن لم يتمكن من نفعه. الطيبة لا تقطع أوتار علاقتهما مهما عظم الخلاف بينهما، الطيبة تجعلك تسمع منه، لا أن تسمع عنه، لأن الفطرة نقية في معموديتها..

تمتلئ الحياة بفرح النجاح.. عندها يزداد بريق الأمل، يوزعه الناجح دون خجل على من حوله. فالحياة تكللها السعادة عندما تكون الإرادة حاسمة، ما يحقق هدفاً يرسمه المرء بألوان طيفه، مفرجاً عن أمنياته بلا خجل مهما اشتد بريقها، ووهج لمعانها المتألق. حينها يكون القدوة.

انخفاض وهج البريق يزامن الهشاشة في ضياع الأخلاق، غياب حسن الخلق يجعلنا قلقين على المستقبل، ينطفئ البريق حين تكون محبتنا مجزوءة مشتتة، حينها يبهت قلم الأديب ويتوارى فكر المثقف.. ينكفئ الأمل من عيون أطفال مورس العنف عليهم.. فيخبو بريق الحياة فيهم..

عندها تغيب القدوة من شخص المعلم الذي يبني الإنسان. ويتلاشى جمال إعمار الوطن من ذهن بُناتِه. أين نحن اليوم من مكارم الأخلاق، ومن حب الوطن، وممن يخطئ في إظهار حبه.. حين تكتمل المكارم في الأخلاق يُنْجَزُ الوطن الأفضل.. فلا يأخذنا النوم والسهو عنه..

في سالف الحرب ..

بديع صقور

«هيا ابتعدوا عن هذا القبر»
اتركوا السيف،
ودعوا الزنبقة تتفتح.
ضعوا السعفة على الصدر المسجّى فوق سرير الموج ..
وخلّوا الزورق يجري بسلام .
– ١ –
ما يتقطر من رأس السيف ليس حبة ندى
السيف الذي شطر القلب نصفين
ما يزيّن شفرته ليس زهرة.
الوردة المتفتحة فوق قبر القتيل
لم يكن قاتله منْ زرعها.
–٢ –
في سالف الوقت
في سالف الحرب
بكيتُ عليك
بكيتُ عليّ..
في سالف الحزن
مسحت دمعك
مسحت دمعي بمنديل الهواء.
في سالف الجوع
بكينا على السنابل معاً
في سالف الحقد
ألقيتني للذئب
وكانت رحى الحرب تدور.

–٣ –
لما ترامت بنا الأرض
أنت، وأنا ..
رقصنا رقصة الموت معاً،
وما بكيت عليّ
وما بكيت عليك !
– ٤ –
صار المدى قاعاً مظلماً
اختزلنا معاً أحزان الشتاء..
تلك البدايات أنهت «كرنفال» التنكر
واستوت على عرش الغصون
افتتحنا مزاداً للظمأ
ليتك كنت حاضراً
ليتني كنت المودع الأخير.

– ٥ –
آخر الحبّ
أول التلال
بيننا نهر ..
ننوح على حبّ تبدّد
عند الرحيل،
في زحمة الموت
من يرتب نعوش العائدين؟
آخر المواعيد استفاقت
وكنتُ حاضراً في الوداع
عانقت طيفك،
وبكينا على السنونو..
آخر الذين مروا ..
آخر الغائبين،
وآخر الحاضرين
آخر الرحيل
فقدت شوقي على عتبات الرجاء.
– ٦–
بكيتُ عليك
بكيتُ عليّ
بكيتُ حليب الفطام
ظمئنا لماء تعلق في الفراغ
ظمئنا لنومٍ طويلٍ فوق أعشاب القمر.
– ٧ –
أول التراتيل صوت يتيم
كان يغفو تحت ظلّ نسمة
استفاق على همس الينابيع ..
يا توبة النهر خذيني،
وأغسلي ظمئي
في نهر النبوءات ..
أبكي عليكَ
أبكي عليّ
عسل السديم سفحناه معاً
على صدر الظمأ..
ونسيت
أن أبكي عليك
أن أبكي عليّ..
نسينا ..
أن ما على رأس السيف
ليس قطرة ندى !
وأن ما على شفرة السيف
ليس دم زهرة أقحوان.

بريق

د. سلمى جميل حداد

كان حضورك بخفة الياسمين مسرعاً كقبلةٍ في الهواء!
أنا هنا خلف نافذة أحلامي
حرّة كنسيم يحملكَ إلي،
اقترب بعيداً
كي نبقى اثنين على مسافة واحدة من الحب
وابتعد قريباً
كي تبقى النور المنبعث من حرائق مدنٍ
تركتُ فيها ظلّي حين ضاقت أكمامه على ساقيّ.
٢
كأنني ما كنتُ
وما وزعتُ على المارين تحت نافذتي حبق الغياب،
يا سهامي التي تكسرت في جسد الحياة
ومضت تشاركني الأرق
يتسع سجني الجلديّ لأكثر من موت..
في كل مرة أموت فيها
يبتعد عني قليلاً ليلبسه التراب
وحين تمطر السماء
أنبتُ من بذور الكتان في كفني
شجرة زيتون عند المعصرة القديمة
أوَ تعرفني حين تحملق في فستاني الزيتيّ
وتمسح بيديك عن وجهي رائحة صابونة الغار؟
مهلاً
لا يعنيني الجواب!
٣
رقدتْ ألوانُكَ في قرارة الرتابة والركود
تُمارس حبّاً مؤجلاً يقترف إثم الخيال
وتنجب عناقاً تلتصق ذراعاه بجيد المنفى
وتفلت من أصابعه قشّةٌ تشتعل بنشوة الوهم
فتُشعل حقولَ الشتاء الحليقات.
تتدلى اللانهايات من أكتاف الأفق العاريات
لا وحدة قياسٍ للمسافات..
كلما ابتعدتُ اقتربتُ من الريح وبرد القُرى
وكلما اقتربتُ ابتعدتُ إلى داخل جسدي
هنيهةٌ أنا من رطوبة الشتاء ووجع الفلاحين
لقد خذلنا الصيفُ ياصديقي

لقاء مع آخر

محمد نذير جبر

– لماذا تبكي ؟؟
انفجر قلبي من السعادة..
– كيف ؟!
تذكرتُ طفولتي القصيرة كالعشب
الخضراء كالعشب
المُداسة كالعشب
.. تذكرت جسدي الأبيض الصغير
وأسئلة الأصدقاء عن البقع الزرقاء فيه
كنتُ أقول لهم: تعثرت على الدرج
فيتضاحكون ، لأن الوقوع على شكل حزام سميك
..
.. تذكرتُ عامل الفُرن وأنا أمد قلبي ليديه
يقول ما هذا خمس ليرات فقط ؟
وألحق بها وهي تطير إلى الشارع
بين صراخ سائقي السيارات وأبواقها المرعبة..
.. تذكرت أمي البهية
لمستها الحانية،
وأثر الأسنان الأزرق على جلدي الأبيض
.. شقيقي المشاكس
ثيابهُ الكبيرة جدًا
وتعثري بألوانها التي لا أطيقها..
.. جارتنا الجميلة
ضحكتها من عينيّ الغبيتين
وأنا ألحقُ بها من بائع حلوى إلى بائع حلوى..
.. وجهي الصغير،
حيّنا الذي يصدح بآهات العشاق
الذي يتنفس جراح الشحاذين
.. المدرسة العرجاء
الآنسة «أم ايمان» وعصاها الطويلة كالحزن
.. تدافع الرفاق، الركض في الباحات
سقوطي كالخرقة على قمر داكن
تشوش عيني بوفرة الأقدام التي تصفع الأرض
تساقطهم عليّ كأني حفرة واسعة..
لطالما كرهت العلكة المهروسة بالأرض..
.. انهضُ، يقولون ماذا ستصبح عندما تكبر ؟
أعض لساني بدلًا من شفتي
أقول طيار.....
الكل يضحك إلا أستاذ الرياضة
يأمرني قائلا طِر إلى الباحة واجمع أوراق
البسكويت
كنت أطير حقًا
أطير بلا أحلام..
.. والآن، كيف تطير ؟
بلا طفولة
ألهذا ينفجر قلبك من السعادة..؟!
لا
بل لهذا أبكي..